مليادير الصحابة

(عبد الرحمن بن عوف)

تأليف

دكتور/ عبدالله الوزان

مقدمة

الحمد لله في الأولى والآخرة، في السراء والضراء، الحمد لله تجاه أي شيء يقضى لنا، فلـــولا الحمد من قبل الناس ما رحمنا ربنا جل شأنه.

إننا بصدد إمام الزهاد والأغنياء والأتقياء زعيم الأغنياء في الأرض وزعيم المنفقين في الـــدنيا والآخرة إننا أمام رجل يأبى القلم أن يكتب مآثره، فهو رضي الله عنه مهما كتب عنه الكتّاب فلن يُوفوه حقه في الثناء والمدح، فهو مثال يقتدى به المنفقون في كل مكان من أرجاء عالمنا الإسلامي.

ولقد وفقني الله جلت قدرته في إنهاء هذا الكتاب الذي يضم ثمانية فصول تمثل إشراقة وإطلالة على حياة الصحابي الجليل أمين أهل السماء والأرض " عبد الرحمن بن عوف " صاحب التقـــى والورع، فهو الرجل الصالح الذي صلى خلفه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق البار بكل إنسان في مدينة رسول الله خاصة أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فهو رضي الله عنه كان عوناً للناس كل الناس في دنيا الناس، فقد كان أهل المدينة جميعاً عيالاً لابن عوف

نحن أمام شخصية صحابي كريم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ولن يتكـــرر مثله في دنيانا إلا إذا أراد ذلك ربي، ولقد عاش رضي الله عنه حياته كلها في ذكـــر الله، يضـــع خوف الله نُصب عينيه، لهذا أكرمه الله وبشره بجنته في محياه، فهو من العشرة المبشرين بالجنة، ومع ذلك نجده يجتهد ويسعى وينفق جل ماله في سبيل الله طمعاً في رضائه سبحانه وتعالى، فبشـــرى دخول الجنة منزلة لا تكون إلا للأتقياء الصالحين الذين لا يخافون فى الله لومة لائم، أما رضاء الله فمنزلة كبرى لا تنبغي إلا للذين يسعون إليها وإن ابن عوف لبالغها، فهنيئاً لك يا صاحب السيرة الذكية فيما أنت فيه من منزلة عند ربك، وأنت بالفعل تستحقها.

تحية إكبار وإجلال لك من دنيا الناس الغرورة إلى روحك المطمئنة في جنات الفردوس مـــع الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، عسى ربنا أن يرحمنا ويغفر لنا ونكون من ساكنيها.

المؤلف

دكتور/ عبدالله الوزان

الفصل الأول

يوم الزينـــــــة

ولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وما أدراك ما عام الفيل الذي سير فيه أبرهة الأشرم جيشاً جراراً قاصداً مكة ليهدم هذا البيت الذي يحج إليه الناس كل عام من كل حدب وصوب، فقد أثاره هذا الأمر وحاول التخلص من هذا البيت العتيق الـــذي يقصـــده البشر جميعاً، لذا قام من فوره بتجهيز جيش كبير به كل أدوات التقنية والتقدم آنذاك، ووضع في مقدمة الجيش أفيالاً عملاقة لكي تهدم الكعبة التي استحوذت على قلوب الناس جميعاً سواء كـــان منهم من هم أصحاب عقيدة أم مشركون، فالكل يتوجه إلى الكعبة في موسم الحجيج، فهذا تقليد متوارث بين العرب آنذاك.

لم يواجه الجيش العملاق أي عوائق في بداية الهجوم على مكة، فمكة أم القرى ليس لديها جيش تدافع به عن نفسها فهي تتكون من مجموعة قبائل متفرقة لا تعنيها مكة بقدر مـــا تعنيهـــا أنفسها، وإزاء هذا الوضع دخل أبرهة بجيشه مكة متحدياً من يقف في طريقه، ويعلن للناس على الملأ أنه ما أتى إلا لهدم الكعبة وليس محاربة أهل مكة، لكن من يقف في طريـــق جيشـــه ســـيتم هلاكه، وعندما اقترب جيش أبرهة من هدفه أرسل الله القادر جنوده البواسل، فـــأمطرت هـــذه الجموع الغفيرة حجارة صغيرة جداً مرسلة من قبل الله الجبار، فها هي طيور تسد عـــين الأفـــق تحجب السماء من كثرتها، كل طائر يحمل معه حجارة من سجيل بمثابة قنبلة تدميرية، هذا الطائر مأمور من قبل الله الولي القادر بقذفها على أشخاص معلومين في هذا الجيش، فكل طائر يعلم يقيناً ضحاياه ويصوب تجاههم بحيث إذا اصطدمت الحجارة بهم أهلكتهم على الفور، و لم لا ؟! وقائد المعركة رب القوى والقدر، من بيده ملكوت كل شيء، والذي أمره بين الكاف والنون فإذا قال سبحانه لشيء كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

هذا ما حدث بالفعل فقد قامت طيور أبابيل تعلم أين تذهب ومن تريد وإلى أين توجـــه قذائفها التدميرية، و لِمَ لا وهي آخذة أمرها من رب الأرباب ورب البشر الذي بيده مقاليد الأمور كلها، وهو القادر على سحق البشر جميعاً وليس جيش أبرهة الضعيف، لذا نجد المولى عز وجل لم

يباشر قوته وجبروته بطريقة مباشرة، لكنه سبحانه فضل أن يبعث أقل جنوده من حيث القوة والجبروت، لكي يذيق هذا الجيش وقائده الوبال والدمار، فأرسل ربنا تباركت أسماؤه طيوراً عظيمة العدد مزودة بقنابل موقوتة، إذا تم إلقاؤها على الأرض حطمت وأهلكت من وقعت عليه، وبذلك رد الله كيد أبرهة وحفظ بيته الكريم من شر هذا الفاسق الكافر وصدق ربنا إذ قال سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [1]

ومن هذا الوقت نجد مكة تحتفل بهذا اليوم من كل عام، وبعد مرور عشر سنوات على عام الفيل وفي الميعاد المحدد سلفاً، كانت مكة تموج بالمرح والفرح والسعادة، فقد كان هذا اليوم هو ذكرى هلاك جيش أبرهة، فمعظم الناس في هذا اليوم في أرجاء مكة في احتفالات صاخبة، فالزينات تملأ الأماكن والوجوه باسمة مستبشرة تنشد أغاني جميلة رقيقة في ذكرى هذا اليوم الجميل عند العرب، وهناك الأصنام منصوبة حول الكعبة يستبشر بها الناس ويعبدونها من دون الله فهم يرون أن عبادتها هى السعادة والعبادة الحقة، وبمناسبة ذكرى هذا اليوم فإننا نجد ثلاثة رجال من أهالي مكة عن عمر يناهز الثلاثين عاماً يسجدون للأصنام الموضوعة حول الكعبة يتذللون ويبكون ويتوسلون إلى آلهتهم ويشكرونها على ردها اعتداء جيش أبرهة الحبشي، وهذه الآلهة كانوا يسمونها هبل، واللات والعزى، ومناة وغيرها.

فهذا رجل من الرجال الثلاثة يدعى (أمية) يسجد لإلهه(هبل) ويخاطبه ويقول له: إلهي ومولاي الكبير(هبل) أنت كبير الآلهة وسيدها أغفر لي يا إلهي ذنبي وارحمني برحمتك الكبيرة، فإنك صاحب الفضل على الناس جميعاً، فقد رددت بفضلك الكبير أبرهة الحبشي عن بيتك الحرام، وقتلت أفراد جيشه جميعاً، فلم يبق منهم أحد، فلك الحمد والشكر يا إلهي، وزيادة في الكرم مني لك، أضع جبهتي ولحيتي تحت قدميك في التراب حتى ترضى عني وتغفر لي ذنبي.

والرجل الثاني يدعى (عمير) يخاطب الآلهة فيقول: إلهي ومولاي نشكرك في هذا اليوم الأغر الذي يوافق الذكرى العاشرة على ردك اعتداء أبرهة الحبشي، فلولاك يا إلهي لهدم البيت وما

---

١ سورة الفيل كلها .

كانت له قائمة ولا مكانة، وتحية مني وإجلالاً لقدرك الكبير أسجد لك عرفاناً مني بفضلك الكبير علينا وعلى الناس.

أما الرجل الثالث فيدعى (سهيل) يبكي بكاءً شديداً ويناجي ربه الإله فيقول: أيها الإله العظيم أنت ملجئ وملاذي، وإليك يرجع الخير والأمر، إنني يا ألهي أعترف لك بارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن فاغفر لي يا إلهى ما بدر مني فإني في احتياج إلى رحمتك.

وبينما هم كذلك على حالتهم هذه توجه نحوهم رجل كبير السن يبلغ من العمر السبعين عاماً يدعى (ورقة بن نوفل) تظهر عليه علامات الوقار والتقوى، فقد كان هذا الرجل عالماً بدينه الذي آتى به سيدنا عيسى عليه السلام، من أجل ذلك اتجه نحوهم وكان معه نفر من قومه وعشيرته، ودار حوار بين ورقة بن نوفل والساجدين للآلهة:

ورقة بن نوفل: ماذا تفعلون أيها الرجال ؟

فرد الرجل الأول (أمية) فقال: نشكر آلهتنا العوالي على ردها اعتداء أبرهة الحبشي

ورقة: تباً لكم أهذه الآلهة الصماء التي لا تسمن ولا تغني من جوع هي التي ردت كيد أبرهة الحبشي ؟

عمير: وهل في ذلك شك يا رجل ؟

ورقة: بل الله سبحانه وتعالى أيها القوم هو الذي رد أبرهة الحبشي وليست هذه الأصنام البكماء التي لا تستطيع دفع الضر عن نفسها.

سهيل: ماذا تقول أيها الشيخ ؟ أتعيب آلهتنا على مسمع منا ؟!

أمية: أغرب عنا أيها الرجل وإلا رجمناك، ودعنا وشأننا حتى لا يكون هلاكك على أيدينا.

فرد عليه رجل من أتباع ورقة بن نوفل فقال: أجننت يا رجل أو ما تعرف أنك تكلم الراهب الكبير ورقة بن نوفل؟

أمية: إنه يسفه آلهتنا ويزجرنا عما نفعل.

ورقة بن نوفل: يا قوم إنني أدعوكم إلى عبادة الله وحده، وترك هذه المنكرات التي لا تستطيع

ضر أحد، فما هي إلا حجارة مخلوقة بيد البشر وليست آلهة كما تظنون وتوقنون.

عمير: تباً لك أيها الشيخ المعتوه، واللات لن أتركك حتى أضرب عنقك.

رجل آخر من أتباع ورقة: أترفع السيف على ابن نوفل يا عدو الله، تعالى إليّ إيها الزنديق وبارزني.

تقابل الرجلان ودارت مبارزة حامية الوطيس بينهما وكاد كل منهما أن يقتل الآخر لولا تدخل سيد من سادات قريش يدعى (العوف بن زهرة).. رجل في العقد الثالث، وسيم الوجه، ذو لحية كبيرة، فارع الطول، متوسط الجسم، رقيق البشرة، وحينما استجاب الرجلين لأمر العوف قال مخاطباً الفئتين: يا قوم إن هذا يوم فرح لا يوم قتال، فمهما حدث بينكما من اختلاف في الرأي والدين فلا داعي للقتال في هذا اليوم العظيم، هيا يا رجال كل منكم ينصرف لحاله واحتفلوا بهذا اليوم الجميل.

وهكذا فرّق العوف بحكمته القوم دون قتال، فهنا يظهر معادن الرجال، ثم ما لبث أن صار إلى عدد من أشراف مكة يحتفلون أيضاً بهذه المناسبة، فهم يأخذون جانباً خاصاً بهم من جوانب الحفل البهيج، فانضم إليهم وجلس معهم يتناقشون في أمور قريش وتجارتها، وبينهما هم على حالهم هذا تقدمت إحدى خدم العوف لتبشره بأنه رزق بالمولود كما تمنى، ودار حوار بين الخادمة والعوف بن زهرة.

الخادمة: يا سيد قريش... يا سيد قريش.

العوف: ما خطبك يا جارية ؟

الخادمة: لقد رزقت بالولد يا سيدي كما تمنيت فأسرع إلى وليدك.

العوف: أصادقة أنت يا جارية في ذلك ؟

الخادمة: نعم يا سيدي.

العوف: اذهبي يا جارية فأنت حرة. الحمد للآلهة.

نجد حال العوف عندما بشر بمولوده الجديد ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة تنبئ عن

فرحته العارمة بقدوم هذا المولود الجديد مما جعله يعتق جاريته التي بشرته، ليس هذا فحسب، بل هنأه سادات قريش الجالسين معه فشكرهم واستأذنهم في الانصراف لكي يرى وليده.

الفصل الثاني

أين الحقيقـــــــة ؟!!

ترك العوف القوم قاصداً بيته الفخم المبنى بالطوب اللبن، حيث أن الدار مكونة من أربـــع غرف: اثنتين في قبالة الوجه والأخرتين إحداهما على الجانب الأيمن والأخرى على الجانب الأيسر.

وعندما وصل إلى بيته وجد الدار تموج بالنساء وهن يحتفلن ويزغردن بمقدم المولود الجديـــد، وعندما رأوا العوف باركوا له مولوده الجديد فرد عليهم التحية، ثم سأل إحدى خدمه عن المولود فقالت إنه في الغرفة المقابلة يا سيدي، فانطلق العوف إلى الباب مسرعاً ففتحـــه ليجـــد زوجتـــه (الشفاء) ومولودها في انتظاره، فاقترب منهما وهو في سعادة غامرة تبادله الزوجة نفس السعادة، ودار حوار بينهما.

العوف: زوجتي الحبيبة شفاء.. الحمد للآلهة على سلامتك، كيف أحوالك الآن ؟

الشفاء: بخير ياسيد قريش.

العوف: أين مولودي الحبيب ؟

الشفاء: إنه بجانبي... تقدم ياعوف لترى وليدك.

العوف: يا إلهي ! يا لك من طفل جميل، لك طلعة بهية تبهر من ينظر إليك.

الشفاء: صفاته هذه اكتسبها من أبيه.

العوف: أنت تبالغين كثيراً يا شفاء، فالطفل متفرد في صفاته وإني أظنه سيكون له شأن كبير.

الشفاء: بأي اسم نسميه يا سيد قريش ؟

العوف: ما رأيك في عبد عمرو ؟

الشفاء: لم لا نسميه محمداً فإن معظم الناس يتحدثون إن من يحمل هذا الاسم ســـيكون لـــه مكانه رفيعة وسامية.

العوف: لكنني أريد تسميته عبدعمرو.

الشفاء: كما تشاء يا سيد قريش.

وبعد أن اتفق العوف بن زهرة مع زوجته على تسمية المولود الجديد " عبد عمرو " خرج من غرفة زوجته وأمر خدمه أن يذبحوا الذبائح ويقيموا الاحتفالات ابتهاجاً بمولوده الجديد وذلك حتى ترضى عنه الآلهة وعن مولوده السعيد، وفي محيط الحياة الأسرية الدافئة من قبل الأبوين، ترعرع الابن شيئاً فشيئاً حتى أصبح في سن الثانية عشر، فظهرت عليه ملامح النجابة والنبوغ.

فهذا العوف يجلس هو وزوجته في داره لكي يتناولا طعام الإفطار لكنهما لم يريدا تناول الإفطار إلا في وجود إبنهما النجيب عبد عمرو لهذا أمرت الشفاء جاريتها ان تدخل إلى غرفة سيدها عبد عمرو لكي توقظه ليتناول طعام الإفطار، قام الابن ثم اتجه صوب أمه وأبيه وجلس معهما وبدأوا يتجاذبون أطراف الحديث بينهم:

عبد عمرو: عمت صباحاً يا أبي.

العوف: عمت صباحاً يا بني:

عبد عمرو: عمت صباحاً يا أمي.

الشفاء: عمت صباحاً ياقرة عيني – هل نمت جيداً يا حبيبي.

عبد عمرو: نعم يا أمي.

الشفاء: أجلس يا بني وتناول إفطارك.. هذا هو الزبد والعسل والخبز الذي تحبه.

عبد عمرو: شكراً لك يا أماه.

العوف: ما رأيك يا بني في أن تصحبني بعد تناول إفطارك في اجتماع مع سادات قريش.

عبد عمرو: على الرحب والسعة يا أبي، فأنا أحب أن أحضر هذه الاجتماعات لأسمع رأي سادات قريش في الموضوعات المختلفة.

وإذا وصفنا عبد عمرو نجده فتىً ذكياً نابغاً – طويلاً – رقيق البشرة – جميل الوجه – واسع الحكمة والصبر، من أجل هذه الصفات اصطحبه أبوه معه لهذا الاجتماع وأيضاً اصطحبه في رحلاته المتعددة، وبعدما أنهى الأب والابن إفطارهما خرجا من البيت سوياً قاصدين اجتماع

يوجد فيه بعض سادات قريش، وفي الطريق تبادلا الحوار فيما بينهما:

الأبن: أنا سعيد جداً يا أبي في أنك سمحت لي بالخروج معك لمقابلة بعض سادات قريش

الأب: أنت يابني تستحق أكثر من ذلك، فأنت صاحب حس مرهف ونبوغ منقطع الـــنظير، لذا فإنني أصحبك معي لكي تزداد نبوغاً وعبقرية.

الابن: ماذا تفعلون في هذه الاجتماعات يا أبي ؟

الأب: نتحاور في شئوننا الداخلية المختلفة خاصة التجارة برحلتيها في الشتاء والصيف

الابن: من خالق هذا الكون باتساعه يا أبي ؟

الأب: الآلهة يا بني ؟

الابن: ومن خالق الشمس والقمر والنجوم والكواكب التي في السماء ؟

الأب: الآلهة أيضاً يا بني هي التي خلقت كل هذه الأشياء.

الابن: أي آلهة يا أبي ؟

الأب: الآلهة " هبل – اللات – والعزى – مناه " وغيرها من الآلهة العوالي.

الابن: لا – يا أبي إن إحساساً بداخلي يقول إن خالق هذا الكون وخالق هذه الأشياء إلـــه واحد قادرً، بيده الأقدار وهو على كل شيء قدير.

الأب: كُف عن هذا الهراء الذي تبوح به.. تباً لك إذا سمعت منك هذه الأقوال مرة أخرى

الابن: هذا هو إحساسي وهاتف من داخلي يقول لي هذا الكلام.

الأب: قلت لك كُف عن هذا الكلام، فقلد وصلنا إلى اجتماع سادات قريش وحذار أن أسمع منك هذا الكلام في حضرتهم حتى لا يتهمونك بالجنون والعته... أفهمت يا بني ؟

الابن: سمعا وطاعة يا أبي.

وصل العوف وابنه إلى مكان فضاء معد خصيصاً لاجتماع سادات قريش من أمثـــال أبي الحكم بن هشام – أبو سفيان بن حرب – أبو لهب بن عبد المطلب، ثم ما لبث أن جلسا وتبادل

الجميع أطراف الحديث فيما بينهم:

العوف: عمتم صباحاً سادة قريش.

الجميع: عمت صباحا ياعوف

أبا الحكم: من هذا يا عوف ؟

العوف: أنه ابن عبد عمرو فتى ملئ بالحيوية والنشاط والنجابة والنبوغ فهل تأذنون له بالجلوس معكم ؟

أبو سفيان: بكل سرور يا عوف اجلس يا بني مع أبيك وشاركنا في الحديث.

أبو لهب: ما أحوال التجارة معك يا عوف ؟

العوف: هي بخير والحمد للآلهة.

أبا الحكم: من الذي يسير أمور تجارة خديجة بنت خويلد الآن يا عوف ؟

العوف: أنه شاب يسمى محمداً يقال عنه أنه صادق أمين، وهذا الشاب كان مقدم خير عليها، فلقد ازدادت تجارتها ازدياداً فاحشاً، وأصبح لديها من الأموال ما يفوق الكثير منا.

أبو لهب: إنه ابن أخي وصاحب بركات، وإني أظنه سيكون له شأن رفيع.

أبو سفيان: أنت تقول هذا الكلام لأنه ابن أخيك.

أبو لهب: واللات لا أقول هذا الكلام عن قرابة بل هو ذاك حقه فهو معروف عنه الصدق والأمانة، فالناس جميعاً يلقبونه بالصادق الأمين.

العوف: صدقت يا أبا لهب، محمداً هذا سيكون له شأن كبير وسيعلو في يوم من الأيام.

عبد عمرو: إنني أحببت محمداً هذا من كلامكم عنه يا سادة قريش من قبل أن أراه – أين أجده يا أبي.

العوف: تجده يا بني عند خديجة بنت خويلد فهو يعمل في تجارتها، بل إن محمداً هذا تربطنا به صلة قربة فأمه آمنة من بني زهرة ونحن بنو زهرة.

عبد عمرو: يوما ما سأتقابل معه وأكون بجواره.

أبو سفيان: لقد سمعت من بعض رهط اليهود أن هناك نبياً سيبعث وأن مقدمه قد أوشك على الظهور، وسيكون ظهوره في جزيرة العرب.

أبا الحكم: إنها أساطير الأولين يقذفون بها من وقت لآخر ولا مجال فيها للحقيقة، فهم يحرفون كتبهم والكلم عن مواضعه وهذا التحريف يتوارثونه كابرا عن كابر، فهم يكذبون بمثل هذه النبوءة ؟

العوف: تباً لهؤلاء اليهود وأعوانهم إنهم قوم لا أيمان لهم ولا عهود، فهم يرثون الغدر والخيانة من بني جلدتهم الأولين، هذا فضلاً عن أنهم يفترون الكذب ويجعلون منه الحقيقة الواضحة ؟

أبو لهب: الأيام القادمة ستبين لنا صدق اليهود أو كذبهم مع علمي بأن هؤلاء لو كانوا صادقين في نبوءتهم لن يؤمنوا بهذا النبي القادم، فهم أصناف مكابرة لا تعترف إلا بديانتهم فقط.

العوف: نستأذنكم سادة قريش في الانصراف – قم يا بني.

أبو سفيان: إلى أين يا عوف ؟

العوف: إلى الساحة لأدرب إبني على فنون الحرب حتى يكون شاباً قوياً يعتمد عليه في الشدائد والحروب – عمتم صباحاً.

استأذن العوف من سادات قريش منطلقاً بابنه عبد عمرو إلى ساحة من ساحات القتال في صحراء مكة لكي يعلمه فنون الحرب والقتال لأن تعليم القتال وفنون الفروسية كان وقتئذ كالماء والهواء، فبيئة الإنسان آنذاك كانت شيئاً واحداً هو البقاء للأقوى، ومن ثم يجب على الرجال والشباب أن يكون لديهم قسطاً وافراً وخبرة كافية فى فنون الحرب، لذا نجد العوف يقوم من فوره بتعليم ابنه مبادئ الفروسية والقتال لكي يكون فارساً مغواراً يعتمد عليه فيما بعد، ولن يوكل إلى تعليمه أحداً، إنما هو سيقوم بتعليمه بنفسه حتى يعطيه كل خبرته في هذا المجال الذي يمثل حياة الإنسان بحذافيرها.

بدأ الأب تدريب ابنه بشكل فعلي على كيفية الضرب بالسيف والرمي بالقوس والرمح، وأيضا يعلمه كيفية ركوب الخيل وكيفية القتال بالسيف وهو على ظهر جواده.

العوف: مد يدك يا بني وخذ هذا السيف وبارزني بيديك الاثنتين لا بيد واحدة.

عبد عمرو: أستطيع الإمساك به يا أبت بيد واحدة

العوف: كما تشاء يا بني – هاجمني وادخل عليّ هكذا واضرب بالسيف من أعلى هكذا ومن أسفل مثل ذلك، أما الرمي بالقوس فكن في موقف ثبات ثم ابدأ بالرمي بغلق عين وفتح الأخرى مع عدم التنفس أثناء الإطلاق، وعندما تقوم بهذا تجد السهم يصيب الهدف تماماً، أما من ناحية الطعن بالرمح فامسك الرمح جيداً هكذا، وركز تركيزاً شديداً نحو الهدف وخذ استعدادك ثم ادفع الرمح بقوة هائلة هكذا تجد الرمح يصيب الهدف كما ترى، أما ركوب الخيل فهو يحتاج إلى ممارسة دائمة وتدريب يومي وانظر إلى حينما أركب فرسي هذا، لتتعلم مني كيف أسير وكيف أعدو به حتى تصير فارساً وقائداً كبيراً.

وليس تعليم فنون القتال والحرب فحسب، بل دأب أبوه على تعليمه القراءة والكتابة والحساب لكي يمحو أميته ويصير فردا صالحاً في مجتمعه مثله مثل الأشراف من سادات قريش، فالتعليم كان مسموحاً فقط ومتوفراً لأبناء الأشراف، وهكذا تسنى لابن عوف الخبرة الكافية في مجال الحرب والتعليم لمدة سنوات متعاقبة حتى أصبح شاباً في الخامة والعشرين من عمره يعتمد عليه في كل شيء، وإذا أعطينا وصفاً للشاب فهو فارع الطول (طويل القامة) – مضيء الوجه – رقيق البشرة – عذب اللسان – واسع الحكمة والصبر– ذكي – نابغة في عقله وفكره.

وتأكيداً لنبوغه نجده حرم على نفسه الخمر فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام[1]، ولم يسجد لصنم قط في حياته، بل إنه كان يبتعد عن كل ذلك حينما كان أبوه يأمره بعبادة هذه الأصنام والسجود قرباناً لها، وبعد اكتمال إعداد الشاب من جميع النواحي دخل أبيه العوف معه في حوار:

العوف: الآن يا بني صرت شاباً قوياً بعد أتممت تدريباتك على خير وجه، فقد تعلمت الآن كيفية المبارزة بالسيف والرمي بالقوس والطعن بالرمح وركوب الخيل، وهذه هي معظم فنون القتال، هذا بالإضافة إلى إجادتك للقراءة والكتابة والحساب، وها أنت أصبحت شاباً قوياً يعتمد عليك في النزال والقتال.

---

١ مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤/٣٦٠

عبد عمرو: الفضل يرجع إليك يا أبت فلولاك ما تعلمت شيئاً.

العوف: لكن يوجد أمامك تعليم آخر، لا يقل أهمية عن القتال والحروب.

عبد عمرو: ما هو يا أبي ؟

العوف: التجارة يا بني – أريدك أن تكون تاجراً ناجحاً يُضرب بك المثل في التجارة، لذلك سأصحبك معي غداً في رحلتي إلى مصر، وأيضاً في الرحلات الأخرى إلى الشام واليمن.

عبد عمرو: كم يسعدني ذلك يا أبي ؟

العوف: فمن الآن استعد يابنيّ فإنا غداً سنذهب ونسير بالقافلة عند عماية الصبح.

فرح الابن فرحاً شديداً عارماً بالبشرى التي زفها أبوه إليه وهي خروجه معه في التجارة، فهو لا يكاد يصدق نفسه فهو يحب هذا المجال كثيراً، ويريد أن ينبغ ويتفوق في كل عمل يقوم به.

وفي الصباح الباكر استيقظ العوف بن زهرة فوجد ابنه في انتظاره ثم ما لبث العوف أن ودع زوجته الشفاء.

العوف: نستودعك الآلهة يا أم عبد عمرو.

الشفاء: صحبتك السلامة يا سيد قريش، وخذ هذا الطعام لتفطر أنت وعبد عمرو وأنتما في الطريق.

العوف: أين أنت يا عبد عمرو؟

عبدعمرو: ها أنا ذا يا أبت.

العوف: هيا اصعد على ظهر هذا الفرس أما أنا فأصعد على ظهر هذا الفرس... هيا يا رجال فلنبدأ المسير إلى مصر.

ركب العوف وأبنه فرسيهما وانطلقا ووراءهما القافلة المكونة من ثلاثين بعيراً محملة بالتمر والأنواع المختلفة من التجارة، وكان معهم من العبيد خمسة أفراد من الرجال ومن الإماء اثنتان، وأثناء سير القافلة ضاربة كبد الصحراء عدة أيام وليالي حاور عبد عمرو أباه في أمور عدة قبل

دخولهم مصر كما سنرى الآن:

عبد عمرو: بما تشتهر مصر يا أبي ؟

العوف: مصر هذه يوجد فيها كل الخير والنماء، فهي بلد الحضارات القديمة، ومهبط الأديان السماوية، فمصر كانت في عهد النبي يوسف كما تقول اليهود تمد العالم كله بالخيرات، فلقد كانت آنذاك مليئة بخيرات الدنيا، ومازالت مليئة بكنوزها سواء في الزراعة أو التجارة، وهي بلد الحضارات الفرعونية القديمة أيضاً، فقد وجد فيها فرعون موسى وكان له مُلك كبير وأنت سترى بنفسك مصر وستحكم عليها بمنطلق الرؤية الفعلية.

عبد عمرو: إنني اشتقت إلى رؤية مصر من كلامك عنها هذا يا أبي ؟

العوف: عما قليل ستكون في مصر وتمتع نظرك بمشاهدة جمالها وأثارها.

فلتسترح القافلة هنا يا رجال فإننا على وشك دخول مصر، فان الليل قد دخل علينا، وفي الصباح نكمل المسير إلى مصر.

وتنفيذ لأمر العوف استجابت القافلة وحطت أحمالها من وعثاء السفر، فقد أرخى الليل سدوله، لذا نجد العوف يأمر القافلة بأن تستريح حيث أنهم على مشارف مصر، وأمر كذلك رجاله بضرب ثلاثة خيام: خيمة له ولابنه وخيمة للعبيد الخمسة، وخيمة ثالثة للإماء

في الصباح وتباشيره استيقظت القافلة بمن فيها واقتلعت الخيام من أماكنها وأمر العوف الرجال بالمسير إلى مصر، وبالفعل صارت القافلة حتى وصلت إلى أسواق مصر، لتجد رجلاً قبطياً عرض على العوف شراء قافلته ونترك الآن العوف يتحدث هو ابنه إلى التاجر القبطي:

القبطي: من صاحب هذه القافلة يا رجال ؟

العوف: أنا صاحبها.

القبطي: من أي البلاد أنت يا رجل ؟

العوف: من مكة.

القبطي: مكة بيت الله الحرام مرحى بك ما هي محتويات القافلة أيها المكي العزيز ؟

العوف: معظم محتويات القافلة من التمر النادر الذي لا يخرج إلا من مكة ويثرب هذا بجانب خبز الشعير.

القبطي: بكم تبيع هذه القافلة ؟

العوف: عشرون ألف درهم.

القبطي: لا يا سيد قريش – هذا المبلغ كبير – أشتريها منك بخمسة عشر ألف درهم.. هـــل توافق ؟

العوف: ما رأيك يا عبد عمرو في هذا المبلغ ؟

عبد عمرو: كما تشاء يا أبي وأوافق على هذا السعر الذي حددته أيها المصرى.

القبطي: حياك الله أيها الشاب فأنت شاب مبارك.

العوف: مبارك عليك يا رجل – هات نقودك واستلم القافلة.

القبطي: تفضل يا سيد قريش.

العوف: وهاهي حمولة القافلة.. أنزلوا يا رجال الحمولة.

القبطي: شكراً لك يا أخا العرب.

أما العوف فقال لرجاله: أيها الرجال سنأخذ هذا اليوم راحة، وفي الصباح ســـنرجع إلى ديارنا في مكة ثم ما لبث أن دار بينه وبين ابنه في محادثة:

عبد عمرو: ما هي ديانة أهل مصر يا أبت ؟ وهل لهم آلهة كما لنا ؟

العوف: ديانتهم المسيحية، ولهم إله واحد يطلقون عليه اسم (الله).

عبد عمرو: الإله الواحد بلا شك أفضل من الآلهة المتعددة (قالها بصوت غير مسموع)

العوف: أتقول شيئاً ؟

عبد عمرو: لا يا أبي – لكن ماذا تفعل الآن بعد إتمام الصفقة ؟

العوف: سنأخذ قسطاً من الراحة وغداً نتابع السير إلى مكة، وكفى أسئلة فإنني متعب وأريد

النوم.

أيها الرجال اضربوا الخيام هنا وأشار بيده إلى موقع صحراوي قريب من سوق مصر.

عبد عمرو: نم واسترح أنت يا أبي، أما أنا فدعني أجلس مع نفسي بعض الوقت.

أمر العوف رجاله بضرب الخيام للمبيت والراحة لكن عبد عمرو تفكيره مشغول بشيء آخر أكثر أهمية ومن ثم فإنه لا يستطيع أن يخلد إلى الراحة كالباقين، إنما يجب عليه التفكير والتفكير وذلك من خلال الجلوس مع نفسه، وما أن جلس مع نفسه حتى استعاد واسترجع كلام التاجر القبطي عندما قاله له حياك الله أيها الشاب، ووجد في داخل نفسه يقول مردداً: إن خالق هذا الكون بمخلوقاته ليس الآلهة كما يزعم أبي ولكنه إله واحد قادر، لكن من يوصلني إلى هذه الحقيقة وأين هي الحقيقة ؟

ودار حوار بينه وبين نفسه:

عبد عمرو: من خلقني ؟ ومن خلق أبي وأمي ؟ ومن خلق الناس جميعاً ؟ أهي الآلهة كما يزعمون أم لا؟

نفسه: لا.. لا.. لا.. إن خالق هؤلاء جميعاً وخالق الكون بمخلوقاته إله واحد قادر وليس الآلهة كما يزعم أبي وسادة قريش، لكن أين هي الحقيقة ومتى أعرفها ومن يوصلني إليها ؟

عبد عمرو: نعم.. نعم.. تذكرت.. فقد ذكر التاجر المصري أمامي اليوم كلمة حياك الله أيها الشاب، معنى ذلك أنه يؤمن بإله قوي يسمى نفسه (الله) والله لأبحثن عن هذا الأمر.

نفسه: ماذا قلت يا عبد عمرو ؟ لقد أقسمت بالله دون أن تشعر، معنى هذا أن الإله الذي حلفت به هو الإله الحق والإله المعبود، وما دونه باطل باطل باطل.

بعد انتهاء الحوار بين عبد عمرو ونفسه أخذ مكانه من القافلة وهو سعيد منشرح الصدر لما حدثته به نفسه الشغوفة بمعرفة الحقيقة، ومعرفة حقيقة هذا الكون المبدع، فقد كان عبد عمرو ذا نفس طاهرة نقية لا توجد فيها أي شائبة من شوائب الجاهلية العتيقة، وكانت نفسه أيضاً صافية تريد الهداية والاستقامة تنتظر من يوجهها إلى طريقها القويم، ومحاورته هذه مع نفسه أولى علامات هذا الطريق الذي سيهديه بلا شك إلى طريق السعادة والطمأنينة، طريق النجاح

والفلاح، طريق الهدى والرشاد الذي يوصل صاحبه إلى معرفة كنه الحقيقة في كيفية معرفة الله سبحانه ودلائل وجوده جلت قدرته.

وبعد أن اطمأنت نفسه إلى حقيقة وجود الله ظهر عليه الإرهاق الشديد الذي كابده طوال هذا اليوم من مشقة التفكير في حقيقة الكون ومشقة السفر فغلبه النعاس فنام.

الفصل الثالث

ظهور النـــــــور

أشرق الصباح على القافلة فقام الجميع من خيامهم ثم بدأوا في الارتحـــال مـــن مكـــانهم عائدين إلى مكة بناءً على أمر سيدهم العوف، وفي طريق العودة إلى مكة دار حوار بين العـــوف وأبيه:

عبدعمرو: إن للمصريين إله واحد قادر على كل شيء فماذا تقول في ذلك يا أبي ؟

العوف: هم وشأنهم في ذلك أما نحن فلنا آلهة كثيرة وليس إله واحد.

عبدعمرو: لكن هذه الآلهة يا أبي صماء بكماء لا تنطق فهي عاجزة عن خلق شيء.

العوف: ما هذا يا بني أتعيب حضرة الآلهة – آلهة آبائي وأجدادي – كف عن هذا إن سمعت منك هذا الكلام مرة أخرى لأنزلن بك عقابي.

سارت القافلة ليالي وأياماً معدودة حتى وصلت أخيراً إلى أرض مكـــة فقابلـــهم النـــاس بالبشرى، وزوجة العوف الشفاء تنتظر زوجها وابنها، وعندما رأتهما تهللت أســـارير وجههـــا وارتسمت عليه السعادة والفرح، وعندما اقتربت القافلة منها اتجهت نحوها وقالت: الحمد للآلهة على عودتكما، فرد عبدعمرو قائلاً: بل الحمد لله القادر يا أمي وليس للآلهة.

العوف: أو ما قلت لك كف عن هذا الأمر، هيا ادخل إلى الدار فإني أريد التحدث معك.

دخل العوف وزوجته وابنهما إلى داخل الدار، وحدث حوار حامي الـــوطيس ممزوجـــاً بالغضب من قبل الأب وممزوجاً بالحماس من قبل الابن.

العوف: لما تتحدث عن الآلهة بهذا السوء ؟ تقرب يا بني للآلهة ولا تعيبها.

عبدعمرو: إنها آلهة لا تضر ولا تنفع فهي من حجارة ولا يحق أن نطلق عليه آلهة، فهـــي لا تنفع حتى نفسها.

العوف: صه حتى لا تسمعك الآلهة الموجودة في البيت.

عبدعمرو: قلت لك يا أبي إنها أحقر من أن تسمع أو تبصر أو تفيدك أو تضرك بشيء، إنها حجارة وأنتم الذين جعلتموها آلهة.

الشفاء: يا ويلي ما هذا الذي تقوله يا بني في حضرة الآلهة – اسجد يا بني لهذا الإله يكفر عنك ما قلته في حقه.

عبدعمرو: لا يا أمي لا لا – لا لعبادة الأوثان – لا لعبادة الحجارة الصماء.

العوف: إنها عبادة آبائنا وأجدادنا يا بني.

عبدعمرو: تباً لها من عبادة حمقاء.

العوف: واللات إن لم تقلع عن ما تقول لأنزلن بك عذابي ولأجلدنك حتى الموت.

عبد عمرو: أفعل ما شئت يأبي فإنني تأملت الكون بما فيه من إبداعات وتفرد، هذه الإبداعات وهذا التفرد يدل على أن هناك إلهاً حكيماً خبيراً بكل شيء وأنه تعالى بيده الأمر والخلق، فقد خلق لنا سبحانه كل شيء من شمس وقمر فالشمس تعطينا النهار كي نسعى فيه، والقمر يأتي إلينا بالليل الذي نرتاح فيه من سعي النهار الشاق، وكذلك النجوم المسخرات في السماء للهداية والرشاد، هذا فضلاً عن وجود الكواكب العظيمة، ألا يدل كل هذا على وجود إله مدبر خالق لهذه الأشياء جميعاً، أو بعد كل هذا تريد مني أن أعبد هذه الأصنام العاجزة، كلا يا أبي وبعداً لما تقول وتريد.

العوف: يا للعار – لقد صبأ ابني.. اكتمي أمر ابنك هذا يا أم عبدعمرو ولا تبوحي لأحد بهذا فنعير به في أرجاء مكة حتى أنظر في أمره.

فما كان من الشاب إلا أن خرج مسرعاً إلى خارج الدار ظاهرة عليه علامات الغضب والضيق من حديث أبيه، ولحقت به أمه وقالت له: إلى أين يا بنيّ ؟ فرد عليها قائلاً: ذاهب يا أمي إلى صديقي أبي بكر بن أبي قحافة.

خرج عبدعمرو من داره وهو غاضب وحزين من حديث أبيه، و لم يجد إلا صدر حنون وصدر واسع الحكمة غير صديقه أبي بكر، فأبو بكر خير صديق في السراء والضراء، فالرابطة بينهما رابطة قوية منذ سنين عديدة رغم كبر أبي بكر عنه لكنهما التقيا على شيء واحد ألا وهو

لا لعبادة الأصنام والأوثان، فلم يسجد كلاهما قط لصنم فكلاهما له عقل رشيد وحكمة متزنة تزن الأمور بمنهاج قويم، لذا نجد فطرتهما تأبى عبادة هذه الأشياء التي تعبد من دون الله وبينما هو في طريقه إلى دار صديقه تقابل معه في الطريق ودارت بينهما محاورة:

عبدعمر: صديق أبو بكر السلام عليكم.

أبو بكر: وعليكم السلام يا أخي – ما الأمر إني أرى على وجهك علامات الغضب والضيق.

عبد عمرو: نعم أنا في غاية الضيق والحزن، فقد دخلت في نقاش ومحاورة حامية بيني وبين أبي عن هذه الأصنام التي يعبدونها ولقد كنت في الطريق إليك لأحدثك في هذا الأمر.

أبو بكر: وماذا قلت عن هذه الأصنام لأبيك ؟

عبد عمرو: قلت له إنها لا تضر ولا تنفع وإنها ليست آلهة كما يدعون، إنما هناك إله واحد قادر هو الله.

أبو بكر: بورك فيك يا صاحبي هذا والله هو الحق فالله سبحانه وتعالى واحد وقادر ومطلع وشهيد وسميع بصير والحق يجب أن يتبع ويسود.

عبدعمرو: أتشاركني نفس الإحساس يا صديقي.

أبو بكر: نعم وعما قريب سيظهر لنا رسول يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

عبدعمرو: صدقت يا أبا بكر فلقد سمعت هذه البشرى وأنا في تجارتي من الأحبار والرهبان.

أبو بكر: ماذا قالوا ؟

عبدعمرو: قالوا أن رسولاً سيظهر عندكم في مكة اسمه أحمد.

أبو بكر: نعم ونحن في انتظار ظهوره، والله إنني لأظنه الصادق محمد بن عبدالله.

عبدعمرو: لقد سمعت عنه الكثير يا أبابكر، إنني أريد رؤيته وأود لقاءه.

أبو بكر: عما قريب يا عبد عمرو ستتقابل معه فاصبر جعلنى الله وإياك مع الصابرين.

عبد عمرو: وأين الصادق محمد الآن يا أبا بكر.

أبا بكر: تجده في غار حراء يتعبد لله منذ فترة كبيرة.

الصادق الأمين محمد بن عبد الله يتعبد في غار حراء قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، هذا الغار بمعزل عن الناس وظل الرسول الكريم على هذا الحال فترة كبيرة ينظر في ملكوت السموات والأرض وكيفية خلقهن، وقدرة الخالق المبدع الذي خلقهن حتى آتاه الوحي من قبل المولى عزوجل عن طريق آمين الوحي جبريل – عليه السلام – الذي خاطب رسولنا الكريم بناءً على أمر إلهي في ميعاد محدد ومعلوم، وقد نزل جبريل – عليه السلام – بآيات من عند الله مباركات ظلت وستظل مقروءة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحدثت بين الرسول الكريم وبين جبريل عليه السلام محاورة...

جبريل عليه السلام: اقرأ يا محمد

الرسول الكريم: ما أنا بقارئ.

حيث أن الرسول الكريم كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة وهذا الأمر لحكمة يريدها الله جل جلاله حتى لا يرتاب الناس بما جاء به الرسول من قبل الله، فهو صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب فأنّى له أن يأتي بهذا الكلام المعجز، فأميه الرسول الكريم في حد ذاتها حكمة وحجة على أهل الشرك والمنافقين.

وعندما خاطب محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بقوله ما أنا بقارئ عندئذ ضمه أمين الوحي إليه ضماً ثم بعد ذلك أرسله ثم قال له جبريل: اقرأ يا محمد، فرد الرسول الكريم مرة أخرى: ما أنا بقارئ، فما كان من جبريل عليه السلام إلا أن ضمه إليه ضمة ثانية ثم أرسله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا أقرأ ؟

فضمه جبريل ضمة ثالثة ثم قال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)[1].

عندئذ قرأ الرسول الكريم هذه الآيات وراء جبريل – عليه السلام – وعندما انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم من قراءتها انصرف عنه جبريل – عليه السلام.

---

١ سورة العلق (الآيات ١-٥)

بعد انصراف أمين الوحي خرج الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم من الغار وهو في حالة إعياء شديد من هول نزول الوحي عليه، وهذه أول مرة يتعرض فيها الرسول الكريم لذلك الأمر، وقد كانت حالته يسيطر عليها الفزع من قوة وضخامة الملك الموكل به، وذلك حتى وصل وسط الجبل فسمع صوتاً من السماء يقول له ويخصه: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفع الرسول بصره إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل.

ارتعد الرسول صلى الله عليه وسلم من هول الموقف، وكلما حول نظره إلى موضع آخر في السماء وجد جبريل عليه السلام ثم بعد ذلك ما لبث أن رجع الرسول الكريم إلى داره وهو يرتجف ويرتعد من شدة ما نزل به من وحي، ويقول للسيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها: زملوني... . زملوني، فقد كان الأمر لا يستطيع أحد من البشر أن يتحمله أو أن يطيقه حتى لو كان ذلك خير الناس على وجه الأرض، ولما ذهب عن الرسول الكريم الروع قص على السيدة خديجة الخبر فآمنت به على الفور وآمنت برسالته، بعدها ذهب السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي تنصر في الجاهلية وذهب معها الرسول الكريم، وذلك لكي تطمئن الرسول الكريم من ناحية ومن ناحية ثانية تعرف حقيقة هذا الأمر بالغ الأهمية بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم ولها وللناس أجمعين، ولقد قصدت السيدة خديجة ورقة لأنه كان عالماً بالكتب السابقة (التوراة - الإنجيل) وخبيراً بهما على مدى سنوات طوال من عمره حيث كان عمره آنذاك كبيراً فهو لا يستطيع الحراك، وكان كذلك فاقداً لبصره، وهناك محاورة تمت بين الرسول الأعظم محمد والسيدة خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل:

الرسول الكريم: السلام عليكم أيها الراهب ورقة بن نوفل.

ورقة بن نوفل: وعليكم السلام أيها الصادق الأمين محمد.

خديجة بنت خويلد: السلام عليك يا ابن العم.

ورقة بن نوفل: وعليكم السلام يا أختها - ما الأمر؟

هل حدث شئ هام يستدعي وجودكما ؟

خديجة بنت خويلد: نعم – أنه أمر عظيم سيرويه لك ابن أخيك.

ورقة بن نوفل: قص عليّ يا ابن أخي ماذا حدث ؟

الرسول الكريم: لقد جائني ملك عظيم الخلقة والهيبة، وقال لي اقرأ ثلاث مرات فقلت ما أنا بقارئ فضمني إليه ثلاث مرات ثم أرسلني ثم تلى عليّ قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)[١].

ورقة بن نوفل: إن هذا الناموس لهو الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني كنت شاباً قوياً، ياليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

الرسول الكريم: أو مخرجي هم ؟

ورقة بن نوفل: نعم يا ابن أخي لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة إلى دارهما، وقد أحس الرسول صلى الله عليه وسلم بعد حديث ورقة بالراحة النفسية، وقد أصبح هادئ البال مستريح النفس – مستبشر بما أخبره به ورقة، فبدأ يحدث بذلك صديقه أبا بكر فآمن به غلى الفور فأطلق عليه الرسول الكريم أبو بكر الصديق، وكذلك آمن به على بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أول من آمن من الصبيان، ليس هذا فحسب بل أنطلق الصديق بعد دعوة الرسول الكريم لكي يدعو إلى الإسلام سراً فآمن بهذه الرسالة عدد كبير من الصحابة الأجلاء، فقد ذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى عبدعمرو قاصداً بيته لكي يحدثه بالنور الذي ظهر على العالم وحين وصوله إلى داره وجده أمامها فدار بينهما محاورة في ساعة متأخرة من الليل:

عبدعمرو: صديقي وصاحبي أبو بكر – مرحى مرحى بك – هلا تفضلت بالداخل

الصديق: لا ياصاحبي – لكني سأصحبك معي لبعض الوقت فإن عندي أمر هام أود إبلاغك

---

١ سورة العلق (الآيات ١–٥)

به.

عبدعمرو: خيراً: ما الأمر ؟

الصديق: أبشر يا رجل فقد بعث محمد صاحبي، وجاءت إليه الرسالة وأصبح نبي هذه الأمة كما توقعنا.

عبدعمرو: الله الله يا أبا بكر – إنها بشرى لا تدانيها بشرى لقد صدق الشيخ الكبير عكلان بن عواكن الحميري.

الصديق: ماذا كان يقول ؟

عبدعمرو: كان يسألني قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة ويقول لي هل ظهر فيكم رجل له ذكر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم فأقول لا، فلما وافني في المرة الأخيرة قال لي ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة فقلت بلى، فقال إن الله قد بعث من قومك نبياً ينهى عن الأصنام ويدعو إلى الإسلام فعجل الرجعة، فأسرعت في قضاء حوائجي وقدمت مكة لكي أسلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

الصديق: صدق الشيخ الحميري.

عبدعمرو: إني أريد أن ألقى الرسول الكريم وأشهد له بالنبوة بين يديه – هل ستصحبني إليه الآن.

الصديق: مهلاً يا صاحبي فإن الوقت متأخر، إن موعدنا الصبح أليس الصبح بقريب ؟!

عبدعمرو: الحمد لله على الهداية والرشاد، وإني أشهد الله وأشهدك يا أبا بكر أن الله لا إله غيره ولا معبود سواه، وأشهدك كذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله

الصديق: بورك فيك – اذهب واسترح قليلاً واكتم إيمانك حتى لا ينالك أحد بضر، ونلتقي في الصباح لنذهب سوياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسلم بين يديه وتلقاه، فقد تجد عنده منة لك، فقد هباني الرسول الأعظم صفة الصديق فأنها اسمي الآن الصديق أبو بكر

---

١ مختصر تاريخ بن عساكر ٣٤٦/١٤ بتصرف

عبد عمرو: آمين يا صاحبي نلتقي بمشيئة الله في الصباح

تفرق الصديق وصديقه عبدعمرو كل إلى داره لكي يستريحا قليلاً حتى إشراق الصباح، وفي الصباح تقابلا سوياً أمام دار أبي بكر فتوجها إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

طرق الصديق الباب ففتح له فدخل هو وصاحبه حيث مكان رسول الله، وحينما رأى عبدعمروالرسول الكريم انشرح صدره وتهلل وجهه بابتسامة عريضة ملؤها السعادة الطمأنينة والانشراح واستطرد قائلاً: السلام عليكم يا رسول الله.

يقول الرسول الكريم: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

عبد عمرو: إن وجهك يا رسول الله يشع بالنور كأنه القمر في ليلة التمام، وإني أشهد بين يديك أن الله سبحانه وتعالى هو ربي ورب الناس أجمعين، وأشهد كذلك أنك رسول الله.

فرد الرسول الكريم على عبد عمرو بعد ابتسامة لطيفة قائلا: الحمد لله على الهداية والرشاد ثم قال عليه الصلاة والسلام: ألغى الإسلام ياصاحبي عبادة الناس، وجعل هذه العبادة لله سبحانه وتعالى وحده، من الآن يا صاحبي اسمك عبد الرحمن بن عوف.

عبد الرحمن بن عوف: الله الله يا رسول الله – الله الله يا رسول الله، الحمد لله رب العالمين، والشكر لك يا رسول الله على أن نظفت أسمي من الشرك والأوثان ونظفته من التبعية للإنسان.

الرسول الكريم: اذهب يا عبد الرحمن وادع إلى الله سراً حتى يأذن الله بدعوته أن تسود.

عبد الرحمن بن عوف: سمعاً وطاعة يا رسول الله.

خرج عبد الرحمن بن عوف وصاحبه أبو بكر من عند رسول الله، فقال عبد الرحمن لصاحبه جزاك الله خيراً يا صاحبي على حسن صنيعك بي.

الصديق: وجزيت مثله يا أخي، أنا لم أفعل شيئاً، فكل هذا من فضل الله وكرمه وتفضله علينا.

عبد الرحمن بن عوف: لقد كنت أعلم سيظهر عندنا، فقد كنت أسمع من الأحبار والرهبان بشارة الرسول صلى الله عليه وسلموإنه سيبعث من البيت الحرام، ولقد تحققت نبوءة اليهود

والنصارى بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم.

الصديق: الحمد لله الذي جعلنا من السابقين إلى الإسلام.

ونظراً لفرحة عبد الرحمن العامرة بالسلامة وباسمة أنشد هذه الأبيات قائلاً:

أجبت منادى الله لما سمعته
ينادي إلى الدين الحنيف المكرم
فقلت له بالبعد لبيك داعياً
إليك متالى بك إليك تيممي
أجوب الفايفيا من أفاوين حمير
على جلعم جلد القوائم صلقم
بابناء صدق عُلّمتها موفق
ولا العلم إلا باطلاب التعلم
فكم مخبر بالحق في الناس ناصح
وآخر أخاك كثير التوهم
ألا إن خير الناس في الأرض كلهم
نبي جلا عنا شكوك الترجم
نبي آتى والناس في أعجمية
وفي سلف من ظلمة الكفر معتم
فأقشع بالنور المضيء ظلامه
وسعده في أمره كل مسلم
وخالفه الأشقون من كل فرقة
فسحقاً لهم في قعر مهوى جهنم[1]

١ مختصر تاريخ دمش . الحافظ بن عساكر ، ١٤/٣٤٦/٣٤٧

الفصل الرابع

محاربة الدعوة الإسلامية والتنكيل بالمسلمين

بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر شيئاً فشيئاً حتى آمن عدد كبير من العبيد والإماء وفقراء قريش، هذا بجانب بعض الأشراف من أمثال طلحة بن عبيد الله، سعد بن أبي وقاص، عثمان بن عفان، ولقد كلف الرسول الكريم هؤلاء السابقين للإسلام بمهمة الدعوة إلى الله وتعريف الناس بالإسلام وكيفية الدخول فيه، فقد كلف الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه صاحبه أبا بكر بمهمة تبليغ الدعوة إلى الناس سراً حتى تتمكن الدعوة ويكتب لها الظهور على أهل الباطل وشركائهم، و لم يكن الصديق وحده في تبليغ الدعوة فقد أدى أيضاً هذه المهمة العبد التقي الورع عبد الرحمن بن عوف، فقد قام بواجبه خير قيام ودعا إلى الله على بصيرة وعلم وساعده على ذلك حسن منطقه وبيانه ورجاحة عقله وكياسة رأيه ونزاهته، هذا فضلاً عن شهرته وذيوع صيته في التجارة في كونه تاجراً صدوقاً من الطراز الأول الذي يعد نموذجاً تحتذى به قريش آجلاً وعاجلاً، كل هذه الصفات التي قلما تجدها في إنسان كانت السبب في نجاح دعوة ابن عوف للدين الجديد ومن ثم دخل في الدين الجديد كثير من الناس خاصة الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة، وبانتشار الدعوة في مكة فزع سادة قريش من هذا الدين الجديد الذي سفه آلهتهم وعابها، وفرق بينهم وبين أزواجهم حتى أصبح السادة والعبيد سواء بسواء، مما جعلهم يجتمعون في دار الندوة لمناقشة أمر هذه الدعوة الناشئة التي تسير وكأنها الريح المدمرة، وكيفية القضاء عليها قضاء مبرماً.

فهذا أبو جهل بن هشام، أبو سفيان بن حرب، أو لهب بن عبد المطلب، أمية بن خلف يجتمعون جميعاً ليتشاوروا ويبحثوا أمر هذه الدعوة وكيفية عقاب العبيد والإيماء والفقراء الذين آمنوا بمحمد وكفروا بالآلهة العوالي.

أبو جهل: ماذا ترون ياسادة قريش في هذا الساحر الذي ظهر بيننا وفرق بيننا وبين أزواجنا، وجعل العبيد والإماء سواء بسواء مثلنا ومقامهم مقامنا ولهم مثل ما لنا.

أبو سفيان: واللات والعزى إن محمدا هذا خطره بدأ يظهر ويشتد، وإن دعوته تستفحل خطراً علينا يوماً بعد يوم – فماذا تأمرون يا سادة قريش ؟

أبو لهب: عجباً لهذا الدين الجديد الذي سفه دين آبائنا وأجدادنا، فإذا ما اعتنقه أحد لم يتركه أبداً حتى ولو كان الموت جزاءً له، إنني أرى يا سادة قريش أن ننزل اللعنات والجحيم على كل من اتبع دعوة محمد حتى يرجعوا عن هذا الدين أو على الأقل يخاف الناس من الدخول فيه، فقد أصبحنا معيرة للعرب في كل مكان.

أمية بن خلف: القول ما قاله أبو لهب نصليهم جحيماً وعذاباً لم يروا مثله، لكنكم نسيتم شيئاً مهماً – سادة قريش – هو أنكم لا تستطيعون تعذيب إلا الفقراء والعالة والعبيد والإماء أما الكبار فلا تستطيعون التفوه معهم خوفاً من قومهم وقوة عشائرهم.

أبو جهل: إني أرى أن نبدأ أولاً بتعذيب العبيد والإماء حتى يكونوا عبرة للجميع ثم بعد ذلك نرسل الرسل إلى الكبار الذين أسلموا لعلهم يرجعون عما اقترفوه تجاه دين آبائهم وأجدادهم، ولسوف أبدأ بنفسي سأصلي هؤلاء المارقين الخارجين علينا عذاباً لم يذوقوه أبداً، وعندما انتهي منهم سأذهب إلى عبدعمرو بن عوف.

أبو سفيان: تقصد عبد الرحمن بن عوف فقد غير محمداً اسمه إلى عبد الرحمن.

أبو الحكم: هذا شأنهم ولكني لن أناديه إلا بعبدعمرو.

أمية بن خلف: نعم الرأي ما قاله أبو الحكم، فهيا يا سادة قريش انطلقوا إلى التعذيب وأصلوا الذين اتبعوا محمداً العذاب، ثم بعد ذلك انطلقوا إلى المحادثة مع كبراء قريش لعلهم يرجعون عن غيهم وإيمانهم.

أنطلق سادة قريش إلى تعذيب من تحت أيديهم من العبيد والإماء للنيل منهم والتنكيل بهم، فهذا هو أمية بن خلف في داره يكتشف أن عبده بلال بن رباح قد آمن بالدين الجديد، وهناك حوار بينهما داخل دار أمية:

أمية بن خلف: أين العبد بلال.

بلال: أنا هنا سيدي.

أمية: لقد سمعت أنك قد صبأت وآمنت بمحمد هذا الذي يزعم أنه نبي.

بلال: بل هو نبي ورسول من قبل الله أرسله ربه ليخرج الناس من ظلم العباد إلى عدل الله

الرحمن الرحيم.

أمية: آآمنت بمحمد إذن.. ويل لك مني لأنزلن بك عقابي إن لم تكفر بهذا الدين الجديد.

بلال: لا والله لن أكفربهذا الدين الحق أبداً ما حييت فافعل ما شئت فوالله الذى لا إله إلا هو لن أرجع عن هذا الدين، ولو أن لي مائة نفس خرجت واحدة تلو الأخرى ما تركت هذا الدين.

أمية: أيها العبيد... أذهبوا به إلى الصحراء بعد أن تجردوه من ملابسه وليكن ذلك في قيلولة الحر على الرمال الملتهبة، وأنا سأتبعكم بسوطي لأشرف على تعذيبه بنفسي

أمية بن خلف يأمر عبيده حوالي الخمس بتجريد بلال من ملابسه والذهاب به إلى الصحراء في قيلولة الحر وهو مقيد بالأغلال مجروراً من يديه وقدميه حتى وصلوا إلى مكان تعذيبه حيث الصحراء المستعرة فقد كانت جحيماً لا يطاق من الحر في فصل الصيف، وانطلق العبيد يجرون بلالاً إلى الصحراء في درجة حرارة لا يطيقها إنسان أو حيوان أو جان، فهذه الدرجة تكون فيها الصحراء جزءاً من جهنم، ويتبعهم أمية بن خلف بسوطه ليضرب به بلالاً ضرباً شديداً، وما أن وصلوا إلى المكان المعد للتعذيب قام العبيد بإلقاء بلال على ظهره، و لم يكتف أمية بذلك بل أمر عبيده بإحضار صخرة عظيمة تخر من حرها الجبال الرواسي وذلك لوضعها فوق بطنه حتى تحرقه بجحيمها وهو ما يظهر في هذا الحوار:

أمية: أيها العبيد هل ترون هذه الصخرة الكبيرة التي هناك ؟

العبيد: نعم يا سيدي إنها صخرة عظيمة.

أمية: أحضروها هنا وضعوها فوق هذا الصابئ الكافر بآلهتنا.

العبيد: سمعاً وطاعة يا سيد قريش.

أمية: أيها العبد الأسود اكفر بدين محمد أتركك وشأنك ولا أعذبك.

بلال: أحد أحد... أحد أحد.

وهكذا يتكرر هذا العذاب الوحشي لبلال يومياً حتى رق لبلال قلوب جلاديه، فأرادوا أن يساوموه حتى يستريحوا من عذاب هذا العبد الذي أتعبهم كثيراً وأصبحوا به معيرة العرب

وسخريتهم، فقيل له يا بلال سنخلي سبيلك على أن تذكر آلهتنا بخير لكنه – رضي الله عنه – يعطي درساً بليغاً لكل إنسان مسلم في شتى مشارق الأرض ومغاربها برده عليهم وقوله لهم كلمته الخالدة والمسجلة عبر التاريخ أحد أحد... أحد أحد.

إنك بحق يا بلال أستاذاً للبشرية جمعاء تعطي دروساً وليس درساً واحداً للجميع في فن التضحية والفداء، فأنت المثال الذي يحتذي به كل عصر فمن ذا الذي يصبر كل هذا الصبر على هذا الابتلاء العظيم، فكلمة واحدة تنجيك من هذا العذاب الكبير لكنك لم تنزلق إلى هذا أبدا، بل صرت جبلا شامخاً لا يستطيع أحد أن يعتلي قمته ولقد صرت مضرب الأمثال بالنسبة لكل الأجيال في شتى العصور، ولقد صرت غنوة ونشيد الأطفال في كل مكان بحسن فدائيتك وصبرك العظيم الذي لا يستطيع أحد مهما أوتى من قوة أن يكون له نفس الروح العالية المطمئنة الواثقة بنصر ربها عاجلاً كان أم آجلاً، و لم يكن تعذيب العبد الصابر بلال في الصحراء المحرقة فقط لكن كان هناك مواضع وأماكن أخرى ينال فيها بلال من الاستهزاء والسخرية ما يشيب من هوله الولدان لكنه – رضي الله – ثابت الجأش، ثابت على دينه وموقفه معتمداً على روعة نفسه الصابرة المحتسبة كل ذلك عند الله.

فكان جلادوه عندما تغيب الشمس يربطون عنقه بحبل لا يستطيع الفكاك منه ثم يأمرون غلمانهم وصبيانهم بجره منه، ويطوفون به جبال مكة وشوارعها، ومع ذلك نجد بلالاً إزاء هذا التعذيب البشع يذكر كلمتيه الخالدتين أحد أحد.

فالعذاب الحسي يسبب الألم في الجسد يزول بعد حين بزوال المؤثر الخارجي أما العذاب المعنوي والاستهزاء والسخرية فهو يؤثر في النفس والإنسان طويلاً، ولا تمحيه السنون والأيام إلا بعد مشقة وطول مثابرة.

وكان – رضي الله عنه – إذا جن عليه الليل لم يسكتوا عنه بل يضعونه في حرب نفسية رهيبة ويقولون له: قل فقط ربي اللات والعزى نتركك وشأنك، فقد سأمنا من تعذيبك فيرد عليهم بقولته العظيمة أحد أحد، عندئذ تفجر أمية بن خلف عليه اللعنة غماً وغيظاً ويقول له: أي شؤم رماناً بك يا عبد السوء، واللات والعزى لأجعلنك للعبيد والسادة مثلاً فيجيبه بلال أحد أحد.

ويصبر بلال على هذا العذاب أياما كثيرة، و لم يخلصه إلا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلمأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الصديق: كف عن هذا العذاب يا أمية وترفق بهذا العبد المسكين، أتقتلون رجلاً يقول ربي الله ؟!

أمية: ما دخلك أنت يا ابن أبي قحافة، عبدي وأعذبه كيف أشاء.

الصديق: هل تبيعه يا أمية ؟

أمية: وهل تشتريه يا أبا بكر ؟

الصديق: نعم خذ هذا الكيس الملئ بالأواقي من الفضة وأتركه.

أمية: هو لك إنه لا يساوي كل هذا المبلغ الذي دفعته لي، واللات والعزى لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية واحدة ما ترددت لحظة في بيعه لك، فقد خلصتني من عبد أتعبني كثيراً.

الصديق: بل يساوي أكثر يا أمية فأنت لا تعرف أقدار الرجال، فوالله لو أبيتم أنتم إلا مائة أوقية لدفعتها.

أمية: أيها الرجال فكوا قيد هذا العبد وأعطوه لأبي بكر.

بلال: شكراً لك يا صاحب رسول الله، أنت من الآن سيدي.

الصديق: لا تقل هذا يا بلال إنما أنت أخي، أنت من الآن حر لوجه الله تعالى.

بلال: جزاك الله خيراً يا صديق.

وهذا أبو جهل عدو الإسلام وعدو الرسول الكريم يسوم العبيد والإماء أشد تعذيب فقد خرج بهما في منطقة صحراوية خارج مكة يعاونه في ذلك العديد من العبيد الأشداء وأشراف مكة من أمثال أبو لهب بن عبد المطلب، وذلك لكي يذيقوا هؤلاء العبيد عذاباً لم ولن يذوقوا مثله في هذه الحياة الدنيا، فقد اعتنقوا ديناً جديداً لا يفرق بين السادة والعبيد، ديناً يحرم كل هوى النفس المعروفة في الجاهلية، ديناً يحرم كل ملذات صناديد قريش الباطلة.

فهذه سمية بنت خياط – أم الصحابي الجليل عمار بن ياسر – إنسانة مسلمة أوابة عابدة لله

آمنت لما سمعت الذكر... آمنت لما سمعت الهداية والرشاد يخرجان من فم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فكان جزاؤها التعذيب والمهانة والتقييد بالسلاسل من يديها ورجليها، وتضرب بالسياط من قبل أعداء الله، فنجدها صابرة مفوضة أمرها إلى رب القوى والقدر لكي يحكم في أمرها وهو سبحانه خير الحاكمين.

فهذه امرأة مسلمة آمنت وأسلمت فحسن إيمانها وإسلامها فصارت مثلاً فذاً لكل امرأة مسلمة حتى قيام الساعة، فها هي تلقى من بشاعة التعذيب ما لا يحتمله الرجال ومع ذلك لا يرجعها ذلك عن دينها، بل وتجاهد كل المشركين وعلى رأسهم أبو جهل بقوة إيمانها التي أعطاها الله لها، فها هي أيضاً – رضي الله عنها – تدخل في محاورة مع عدو الله أبي جهل، وأبو جهل حينما يتحدث إليها يتحدث بعصبية زائدة يكاد صوته الجهوري يخلع القلوب من مكانها من شدته.

أبو جهل: ارجعي يا سمية عن هذا الدين أطلق سراحك.

سمية: كلا فوالله الذي لا إله غيره لن أرجع عن هذا الدين أبداً، فمهما تفعل معي يا عدو الله لن أعود إلى الكفر أبداً بعد إذ نجاني الله منه.

أبو جهل: أكفري يا سمية بدين محمد أزيل عنك هذا الذل وهذه القيود التي أنت فيها

سمية: أتريد ردي يا سيد قريش.

أبو جهل: بكل تأكيد يا سمية وعسى أن تكوني فهمت الدرس وترجعي عن هذا الدين

سمية: (بصقت على وجهه)

أبو جهل: أتبصقين عليّ يا سمية واللات لن تعيشي على ظهر هذه الحياة بعد الآن – أيها العبيد أعطني هذه الحربة.. خذي أيتها الحمقاء هذه الحربة جزاءً لك.

سمية: الحمد لله الذي كتب لي الشهادة في سبيله – أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

أبو جهل: أيها الرجال صبوا على هؤلاء الحمقى العذاب صباً فإني لا أريد أحد منهم حياً بعد الآن

ومن ساحات التعذيب التي يشرف عليه أبو جهل وأبو لهب ننقل منظراً آخر هو لرجل مسلم تجرد من ملابسه إلا ستر العورة مقيد بالسلاسل من يديه ورجليه، ثم توقد ناراً أمامه ويوضع في هذه النار سيف حتى يصير كتلة حمراء ملتهبة من كثرة سخونته، ثم يسحب من النار ويوضع على رأس الرجل المسلم فتغلي فروة رأسه تماماً فيصرخ الرجل المسلم من شدة الألم ويقول أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أنك يا محمد رسول الله.

وهذا منظر لخمسة رجال من العبيد المسلمين معلقين بين السماء والأرض من أيديهم ويضربون بالسياط على كل مكان في أجسامهم فيصرخون من شدة الضرب، ليس هذا فحسب بل يصرخ عدو الإسلام أبو لهب في رجاله المشرفين على العذاب ويقول لهم زيدوا لهم أيها الرجال جرعات العذاب واضربوهم بقوة حتى يكونوا عبرة لغيرهم، اسلخوا أجسادهم بالسياط، وأريقوا الدم منهم فإنني أود رؤية الدم ينزف من أجسامهم.

ومنظر رابع عبارة عن حفرة كبيرة من نار مستعرة والنار تخرج منها وكأنها الجحيم، ويؤتى بثلاث رجال مسلمين على حافة هذه الحفرة، ويقول لهم أبو جهل ورفاقه اكفروا بدين محمد وإلا ستقذفون فيها فيأبى الرجال ويتمسكون بدينهم فيتم قذفهم واحداً وراء الآخر، وإليكم ننقل هذه الصورة من خلال هذا الحوار:

أبو جهل: أيها الرجال أحضروا هؤلاء الثلاثة الذين آمنوا بمحمد حول هذه الحفرة وقفوهم جميعاً حولها بعد أن تقيدوهم بالسلاسل – أنتم الآن على حافة الهاوية ولن ينفعكم محمد ولا دينه، هل تكفرون بدين محمد وترجعون عنه ؟ لئن فعلتم ذلك صفحت عنكم وتركتكم تعيشون وتهنئون، اكفروا بدين محمد ولا تكونوا أغبياء.

الرجل الأول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك يا محمد رسول الله.

أبو جهل: أقذفوه في النار... وأنت يا هذا ماذا تقول ؟

الرجل الثاني: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك يا محمد رسول الله.

أبو جهل: أقذفوه في النار.. وأنت أيها العبد الثالث أكفر بدين محمد ولا تكن أحمق مثلهم.

الرجل الثالث: لو علمت ما هما فيه من نعيم عند الله ما قذفتهما في هذه النار، لكنك أنت

الأحمق أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله.

أبو جهل: أقذفوه في النار... يا أبا لهب: خذ مكاني في تعذيب هؤلاء المارقين، فإني ذاهب إلى عبد عمرو لكي أثنيه عن دينه وأنذره لكي يتخلى عن دين محمد ودعوته.

وترك أبو جهل ساحات التعذيب وانطلق إلى دار عبد الرحمن بن عوف لاستأذن ودخل عليه وهو كاشر الوجه شديد الغضب وحدثت محاورة بينهما:

أبو جهل: عمت مساء يا عبد عمرو.

عبد الرحمن: لم يعد عندنا يا أبا الحكم تحية اسمها عمت مساء في المساء وعمت صباحاً في الصباح، فقد غيرها الإسلام بتحية خير منها.

أبو جهل: وما هي هذه التحية يا عبد عمرو ؟

عبد الرحمن: التحية هي السلام عليكم وتجاب هذه التحية بعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، واسمي لم يعد عبد عمرو، فقد أبدلني الرسول الكريم صلى الله عليه وسلماسماً خيراً منه، فقد أسماني عبد الرحمن، ومن الآن نادني عبد الرحمن.

أبو جهل: ما هذا الهراء الذي تتحدث به أأناديك عبد الرحمن لا ولن أناديك بهذا الاسم، ولن أجريه على لساني أبداً، والآن أنصت إليّ لتعرف ما جئت به من أجله

عبد الرحمن: قل ما شئت فإني منصت إليك.

أبو جهل: بعثني سادة قريش وزعمائها لأنذرك في أن تترك دين محمد وتعود إلى آلهتنا، فإن لم تفعل ذلك عرضت نفسك لخطر كبير لا تقدر على دفعه.

عبد الرحمن: أتهددني يا أبا جهل في داري – صدق الرسول الكريم حين أسماك أبا جهل، ألا تعرف أنت وسادة قريش وجميع من في مكة من هو عبد الرحمن بن عوف بقوته وبأسه – أنسيتم أن قومي هم بنو زهرة، وأنهم سيجمعون قومهم ضدكم إذا ما نالني أحد بأذى.

أبو جهل: قوافلك التجارية يا ابن عوف تذهب إلى البلاد البعيدة وتعود رائجة، وقد اتفقت أنا وأشراف قريش أن نكسد تجارة من خالفونا وخرجوا علينا وآمنوا بمحمد، فأنت تعلم علم

اليقين أن لنا أصدقاء في كل مكان سوف يصدقوننا ويتعاونون معنا في هذا الأمر، وإذا تم ذلك أصبحت واحداً من الفقراء وخسرت تجارتك ومالك وقوافلك التجارية المتعددة في الشتاء والصيف.

عبد الرحمن: أيقال هذا الكلام لمثلي فأنت كما تعلم ويعلم الجميع أنني تاجر ثري معروف السيرة – أطار عقلك يا رجل أم بك لوثة أعمتك عن قول الصواب والحق فجئت تهذي بكلام خائب يدل على أنك صرت من أصحاب العقول الخربة، أغرب عن وجهي ولا تزد في الكلام معي بعد، واستعد أنت وزعماء قريش من أهل الكفر والطغيان للقاء قادم بيننا وبينكم فيه بإذن الله ينتصر الحق على أهل الباطل ويهزم هناك المشركون والمتآمرون والحاقدون.

الفصل الخامس

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وبناء الدولة

خرج عدو الله أبو جهل من دار عبد الرحمن ذليلاً طريداً تصحبه الذلة والندامة والخيبة والانكسار، فقد فشل في مهمته مما جعله يكن في نفسه حقداً بغيضاً على المسلمين أكثر مما كان في صدره، لذا نجده يصدر أوامر لكل الناس في مكة على عدم السماع لمحمد ولا مجالسته، وأن يتم تعذيب كل من اعتنق الإسلام، وإزاء هذا الأمر الخطير والحياة الصعبة والعذاب الدائم الذي يحيق بالمسلمين، حث الرسول الكريم أصحابه بالهجرة من مكة إلى الحبشة، فما كان من المسلمين إلا أنهم استجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت مجموعات كبيرة من المسلمين قاصدة الحبشة، حيث يعبدون ربهم هناك في هدوء وطمأنينة، وكان من بين هؤلاء المهاجرين عبد الرحمن بن عوف، لكنه لم يطق فراق النبي صلى الله عليه وسلمفترك الحبشة وجاء مرة أخرى إلى مكة ليكون في خدمة الرسول الكريم ودعوته الجديدة، وبدأ يدعو عبد الرحمن إلى الإسلام سراً فاستجاب له عدد كبير من الإماء والعبيد والقراء، لكن عندما وجد الرسول الكريم إيذا قريش قد اشتد على المسلمين أمرهم بالهجرة إلى يثرب فهاجر عدد كبير من المسلمين إليها سراً وتركوا أولادهم وزوجاتهم وديارهم وأموالهم، وكان من بين هؤلاء عبد الرحمن الذي كان يُعد من كبار التجار الأثرياء بمكة، فترك ماله وثروته ابتغاء وجه الله تعالى وهاجر إلى يثرب امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن والدة عبد الرحمن (الشفاء بنت عوف بن الحارث الزهرية) أسلمت هي الأخرى ابتغاء مرضاة الله وتنفيذاً لأمر الرسول الكريم، وقد أسلمت معها ابنتها (عاتكة بنت عوف) وبايعتا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وكانت والدة عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنها – من المهاجرات لكنها عندما توفاها الله قال عبد الرحمن للرسول الكريم أعتق عن أمي يا رسول الله قال نعم فأعتق عنها عبد الرحمن.

وإذا نظرنا إلى حال عبد الرحمن رضي الله عنه قبل الهجرة نجده تاجراً عملاقاً يملك من المال الفاحش ما يجعله سعيداً أبد الدهر، لكنه رغم كثرة ماله فان نفسه السامية ترفعت وسمت عن هذه الزخارف والمتع المنتهية، فقد علم رضي الله عنه أن الإنسان خلق لطاعة الله وعبادته وأن هذه النعم في الحياة الدنيا ما هي إلا ابتلاءات من الله سبحانه وتعالى لينظر من سيشكر ومن يكفر،

ومن ثم يجازي الإنسان بما يفعل، وبلا شك كان بن عوف شاكراً لأنعم الله فقد كانت تعاليم الله وأحكامه واضحة جلية فأمين أهل السماء والأرض (عبد الرحمن بن عوف) فإنه حينما كان يتاجر يتاجر ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله، ولقد عاش طوال حياته على تعاليم صاحبه وحبيبة محمد صلى الله عليه وسلموعلى تعاليم القرآن الكريم الذين ينفذ تعاليمه حرفاً بحرف وآية بآية خاصة الآية التي تقول:

(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)[١]

ومن شدة صدق عبد الرحمن وولائه للإسلام ورسول الإسلام سماه المصطفى صلى الله عليه وسلمبالصادق البار، وبعد أن استقر المسلمون في يثرب فترة من الزمن لحق بهم الرسول الكريم وصاحبه أبي بكر، وقد كان أهالي يثرب والمهاجرون في شوق ولهفة لملاقاة الرسول الكريم، فقد خرجوا جميعاً عن بكرة أبيهم ينتظرون مقدم الرسول وصاحبه وقد كان من ضمن المنتظرين رجلان الأول يسمى سعد بن الربيع سيد من سادات يثرب والآخر عبد الرحمن رضي الله عنه فحدثت بينهما محاورة:

سعد بن الربيع: لقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلميا عبد الرحمن وإني أخاف عليه من غدر المشركين.

عبد الرحمن: لا تقلق يا سعد ولا تحزن فإن الله مع رسوله الكريم ولن يخذله أبداً وسيصل عما قريب فقد قال سبحانه وتعالى لرسوله الكريم:

(وَاللَّـهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[٢]

سعد بن الربيع: إنها البشرى لقد ظهر الرسول يا ابن عوف فإني أرى بعيرين يتجهان نحونا – انظر يا عبد الرحمن ها هما.

عبد الرحمن: حقاً يا سعد إنه الرسول صلى الله عليه وسلموصاحبه أبو بكر.

---

١ سورة البقرة الآية ٢٦٢

٢ سورة المائدة (جزء من الآية ٦٧)

سعيد بن الربيع: أبشروا يا أهل يثرب فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلمإلينا فأقيموا الأفراح والأغاريد.

أهل يثرب:

طلع البدر علينـــــــــــــــا مـــن ثنيـــــــــــــــات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعـــــــــــــــــــــــــــــــا لله داع

أيها المبعوث فينـــــا جئت بالأمر المطاع

جئت نورت المدينة مرحباً يا خـــــــــــــير داع

وصل الرسول الكريم يثرب في ظل الأناشيد الجميلة من أهلها وعندما اســتقرت الأمــور في المدينة آخى الرسول الكريم بين المهاجرين من أهل مكة والأنصار من أهل يثرب ولقــد آخــى الرسول الكريم بين عبد الرحمن بن العوف الذي أصبح فقيراً بهجرته إلى يثرب وتركه لماله في مكة وبين سعد بن الربيع أحد سادة الأنصار وزعمائها الذي يملك ثروة كبيرة. وحدثت محاورة بــين الأخوين فقد آخى الإسلام بينهما فصارا أخوين في الله.

سعد ين الربيع: أخي عبد الرحمن إن هذا كل مالي قسمته قسمين فاختر القسم الذي تريده، وتحتي امرأتان فاختر واحدة منهما أطلقها ثم تتزوجها.

عبد الرحمن: بارك الله لك يا سعد في مالك وأهلك فلا حاجــة لي إلى هــذا المــال ولا إلى زوجتيك، إذا تكرمت علي دلني إلى السوق.

سعد بن الربيع: وماذا تصنع في السوق يا أبن عوف ؟

عبد الرحمن: أشتري وأبيع وأكسب فإني صاحب موهبة ومهارة فائقــة في البيــع والشــراء والكسب.

سعد: وأين رأس المال الذي ستتاجر فيه، لابد أن يكون التاجر غنياً.

عبد الرحمن: معي الله الغني يا ابن الربيع.

سعد: ونعم بالله يا ابن عوف.. لكن لابد لك من رأس مال كبير لكي تقوم بالتجارة، فخذ نصف مالي وتاجر به كيفما تشاء.

عبد الرحمن: جزاك الله خيراً يا سعد.. إن رأس مالي هو عقلي وفطنتي وسمعتي الطيبة وحسن بياني، وفوق كل هذا ثقتي في الله وبالله.

سعد: لكن رأس المال مهم في ذلك الحين يا صاحبي فخذ يرحمك الله نصف مالي فإني قد وهبته لك.

عبد الرحمن: لا والله يا سعد، ما كان لان عوف أن يأخذ مال أحد

سعد: كما تريد يا بن عوف – وفقك الله في تجارتك القادمة.

عبد الرحمن: جزيت خيراً ياسعد.

سعد: وجزيت مثله – فتح الله عليك من فضله ورزقك من حيث لا تحتسب.

في الصباح اتجه عبد الرحمن إلى السوق واشترى وباع، وخلال أيام قلائل أصبح عبد الرحمن يكتسب مكسباً حلالاً طيباً من عمل يديه، فبالأمس كان فقيراً لكنه الآن أصبح يعتمد على نفسه في كسب رزقه، وأصبح على هذا الحال في الشراء ثم البيع في الأسواق حتى أصبح من أثرياء المدينة كما كان بالأمس من أثرياء مكة، وقد كان ابن عوف مضرب الأمثال للصحابة الكرام، فقد كان الرسول الكريم يفاخر بعبد الرحمن وبحسن بلائه وصنيعه، فقد اعتمد على نفسه و لم يرض أن يكون لأحد عليه من فضل، بل طلب المعونة والفضل من الله سبحانه وتعالى فأعطاه الله من فضله بغير حساب مصداقاً لقول ربنا جل في علاه:

(وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [1]

وإجلالاً لقدر ابن عوف ومنزلته من الرسول أسماه أمين أهل السماء والأرض، لقد طلب الرسول الكريم من صحابته أن يقتدوا به في عمله وحياته – ومن المنزلة التي نالها عبد الرحمن أيضاً

---

١ سورة الطلاق (الآيتين ٢،٣)

بشرى الرسول صلى الله عليه وسلمله بالجنة حين قال صلى الله عليه وسلم: يا ابن عوف إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فأقرض الله يطلق الله قدميك، قال ابن عوف وما الذي أقرض يا رسول الله، قال تبدأ بما أمسيت فيه، قال: أم كله أجمع يا رسول الله قال: نعم، قال: فخرج ابن عوف وهو يهم بذاك فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلمفقال: إن جبريل قال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل ويبدأ بمن يعول، فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه[1].

وذات يوم دخل عبد الرحمن على رسول الله صلى الله عليه وسلموعليه درع من زعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" مهيم " فقال يا رسول الله تزوجت امرأة قال: " فما أصدقتها " ؟ قال: وزن نواة من الذهب قال: " أولم ولو بشاة " قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني لو رفعت حجراً رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة[2]، وأخرج الملاء في سيرته عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول لعبد الرحمن بن عوف: بارك الله في مالك وخفف عليك حسابك يوم القيامة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: وردت قافلة من تجارة الشام لعبد الرحمن بن عوف فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم له بالجنة فنزل جبريل عليه السلام وقال: الله يقرئك السلام ويقول أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة[3].

هذا هو عبد الرحمن بفضله وكرمه وجوده وسخائه، قد وصل من فضله ومنزلته أن بعث الله تبارك وتعالى من فوق علياء سمائه السلام له عبر الأرض عن طريق أمين الوحى جبريل عليه السلام، وفي هذا الأمر منزلة لا تدانيها منزلة، فماذا بعد سلام الله، إنها المنزلة العظمى بحق وإن عبد الرحمن يستحقها وإن كان لا يستحقها ما بعث الله سبحانه وتعالى السلام له، لم يكن هذا فقط ولكن إمعاناً في صلاحه وتقواه صلى الرسول الكريم وراءه وكان ذلك في غزوة تبوك، وقد

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد .

٢ المرجع السابق

٣ الرياض النضرة في مناقب العشرة ج٢

عقب الرسول صلى الله عليه وسلمعلى ذلك فقال: ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته، وكان هذا الصالح هو عملاق التجار وإمام الأغنياء والزهاد عبد الرحمن بن عوف.

وكانت تجارته الواسعة لم تشغله عن فنون الحرب والقتال فقد كان يقوم بتدريب شباب المهاجرين والأنصار في ساحات القتال، كيف يمسكون بالسيف وكيف يضربون بالقوس، وكيف يطعنون بالرمح، وكيف يركبون الخيل.

فقد كان ابن عوف فارساً من الفوارس الأشداء الذي يحسب لهم ألف حساب من قبل صناديد الكفر، وبعد انتهاء ابن عوف من تدريب الشباب، يذهب إلى المسجد لسماع دروس الإسلام من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلمولسماع القرآن العظيم من فمه الطاهر، وحينما تم إعداد عبد الرحمن إعداداً جيداً من قبل الرسول الأعظم سمح له الرسول الكريم بإلقاء الدروس على المسلمين، حيث كان يتميز بحسن بيانه وعلمه الغزير ورقة كلامه وقدرته على الإقناع فضلاً عن أنه كان صاحب رأي في مجلس الشورى الذي كان يعقده المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد كان معروفاً برجاحة عقله ونزاهته وسماحته في البيع والشراء، أما من ناحية وصفه فقد قال واصفوه أنه رجل طويل – حسن الوجه – رقيق البشرة – أبيض مشرباً بالحمرة، ومنذ أن نطق عبد الرحمن بالشهادة بين يدي الرسول الكريم وهو يهب نفسه لله ورسوله يتمنى الجهاد في سبيل الله من أجل أن ينال الشهادة ليفوز بالجنة التي عرضها السموات والأرض، ولقد حضر عبد الرحمن جميع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلمفهذه غزوة بدر تقابل المسلمون الذين كانوا لا يريدون القتال مع الكفار الذين كانوا يبيتون النية لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في بدر، وكان عدد المسلمين آنذاك ٣١٤ مسلماً مقاتلاً، وعدد المشركين حوالي ١٠٠٠ تقريباً، وكان من بين المسلمين في المعركة عبد الرحمن بن عوف قائداً جسوراً يضرب بسيفه فيطيح رؤوس الكافرين في ثوان معدودة، ولا يقف في وجهه أحد مهما كان، وكان أسداً في المعركة لا يستطيع أحد إيقافه حتى أتم الله نصره على المسلمين في هذه المعركة، فسر الرسول بهذا النصر وأخذ يباهي بشجاعة عبد الرحمن ويشيد بفدائيته وبطولته.

وعندما انتهت معركة بدر الكبرى تم أسر العديد من صناديد قريش وكان من بينهم أمية بن خلف الذي استوقف عبد الرحمن، فقد كان صاحبه في التجارة، فقد كان أمية يُساق وأتباعه من

المشركين كالنعاج أمام المسلمين، وقال له يا ابن عوف خذني في جوارك خير لك من هذه الأدرع والسيوف التي تحملها أعطيك ما تشاء فطرح عبد الرحمن الأدرع وقال لأمية:

أنت في جواري.. أنت وابنك علي وسار عبد الرحمن وسار بجانبه أمية وابنه، لكن القدر لم يمهلهما فرآهما بلال بن رباح وهو يعجن عجيناً له فترك العجين واتجه نحوهما واستثار الأنصار عندما رأى تمسك عبد الرحمن بن عوف بجوار أمية وابنه علي، وبالفعل توجه نفر من الأنصار استجابة لنداء مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلمالذي قال قولته المشهورة " يا معشر الأنصار إنه رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إذ نجا، وفي سرعة البرق اتجهت الثلة المباركة من الأنصار المسلمين تجاه أمية وابنه حيث كانا يسيران مع عبد الرحمن بن عوف، وفي لمح البصر استل رجل من الأنصار سيفه وقتل علي بن أمية، وإزاء هذا الأمر نام الصحابي الجليل عبد الرحمن على أمية خوفاً من قتله هو الآخر لكن سيفي معاذ بن عفراء وخارجه بن زيد بن حبيب كان قد تم غمدهما في جسد أمية فأرديا قتيلاً.

وهذه محاورة أمية بن خلف وعبد الرحمن بن عوف، وتدخل في الحوار بلال بن رباح لكي يقضي على رأس الكفر بلا رجعة:

أمية بن خلف: يا ابن عوف... يا ابن عوف.

عبد الرحمن: من ؟

أمية: أنا أمية بن خلف، خذني في جوارك حتى لا أقتل أعطيك ما تشاء، حيث أنني أسرت أنا وابني ودعك من هذه الأدرع التي تحملها.

عبد الرحمن: لك هذا يا أمية – سر معي فأنت وابنك في جواري.

بلال بن رباح: من ؟!!! عدو الله أمية بن خلف الذي عذبني أشد تعذيب على الرمال المحرقة، لقد كنت أبحث عنك – أيها المسلمون هلموا إليّ فإني رأيت رأس الكفر أمية بين الأسرى، والله لن أتركك تفلت حتى تقتل – وامحمداه لا نجوت إذ نجا– قف يا عدو الله – أيها المسلمون اقتلوا ابنه الكافر مثله.

عبد الرحمن: يا بلال لقد قتلت ابنه وهو في جواري فلا تقتل أمية واتركه وشأنه

بلال: لا والله يا ابن عوف لن أترك هذا الكافر المارق يفلت من أيدينا، فإن له منزلة خاصة عندي، فقد أذاقني العذاب ألواناً، وتجرعت الجحيم بشتى صنوفه على يديه، ولو كان أحد غيري في مكاني هذا لعذبه أشد تعذيب قبل أن يقتله، لكن الإسلام نهانا عن التعذيب والتمثيل بالضحية.. أقتلوه يا رجال.

عبد الرحمن: لقد فعلتها يا بلال – لقد أذهبت عني أدرعي وفجعتني في أسيري.

بلال: معذرة يا صاحبي فهذا الرجل لا يحق له أن يأخذ جوار صاحبي مثلك له وزن كبير بين المسلمين.

وعن غزوة بدر يتحدث عبد الرحمن بن عوف فيقول:

نظرت يوم بدر عن يميني وعن شمالي فإذا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال:

أي عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت نعم فقال عبد الرحمن – رضي الله عنه – فما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال الغلام: (معاذ بن عمرو بن الجموح): أُخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا (الأقرب أجلاً) وغمزني الغلام الآخر (معاذ بن عفراء) وقال: أي عم هل تعرف أبا جهل ؟ فقل له نعم فما حاجتك إليه ؟ قال: بلغني أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده (أي شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا.

فعجب لذلك رضى الله عنه لحرص كل منهما على قتل أبي جهل وإخفائه على صاحبه ليكون المختص به، و لم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس

(يتحول من محل إلى آخر) فقلت للغلامين: ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه.. ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمفأخبراه فقال: أيكما قتله ؟ فقال كل منهما أنا قتلته، قال النبي صلى الله عليه وسلمهل مسحتما سيفيكما ؟ قالا لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلمفي السيفين وقال: كلاكما قتله.

وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح.. ثم قال يرحم الله بني عفراء فإنهما قد اشتركا في قتل فرعون

هذه الأمة ورأس أمة الكفر.. فقيل يا رسول الله من قتله معهما ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلموسلم الملائكة [1].

انتهت غزوة بدر الكبرى بانتصار المسلمين وقتل سبعين وأسر سبعين من صناديد قريش، لكن البقية الباقية منهم اجتمع رأيهم على مواصلة القتال والثأر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت غزوة أحد، وكان ممن قتلهم عبد الرحمن بن عوف يوم بدر السائب بن أبي رفاعة، وعمير بن عثمان بن عمرو [2].

وإذا تناولنا غزوة أحد وما فيها وجدنا أن تعداد المسلمين سبعمائة مقاتل فقط بعد انسحاب رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) بثلثي الجيش عائداً إلى المدينة في حين كان تعداد جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل ومعهم عدد كبير من النسوة لكي يمنعن الرجال من الفرار، وكان من ضمن جيش المسلمين عبد الرحمن بن عوف قائداً شجاعاً له مكان مرموق بين قادة المسلمين بكونه من أوائل المسلمين الأشداء.

تقابل الفريقان في الشعب من أحد، وقبل بدء القتال أمر الرسول الكريم خمسين رامياً أن يكونوا في أعلى الجبل خلف المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: أحموا ظهورنا فان رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشاركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا.

تقابل الفريقان وسطّر المسلمون صفحة مضيئة في القتال ضد أعداء الله، وكان في الساحة مصعب بن عمير – حمزة بن عبد المطلب – عبد الرحمن بن عوف – أبو دجانة، وغيرهم من القواد المسلمين، وتم النصر للمسلمين في البداية وانهزم هنالك المشركون، لكن الرماة خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلمفدارت الدائرة على المسلمين وانهزموا في هذه الغزوة وأصيب عبد الرحمن بن عوف بعشرين جرحاً في هذه الغزوة، وإحدى هذه الإصابات تركت عرجاً دائماً في إحدى ساقيه، كما سقطت ثنيتاه في هذه المعركة.

---

١ حياة الصحابة . محمد يوسف الكندهلوي ،أخرجه مسلم برقم(١٧٥٢) .

٢ سيرة ابن هشام ٣٦٧/٢ ، ٣٧٣

ولقد ثبُت عبد الرحمن – رضي الله عنه – يوم أحد يوم انكشف المسلمون وتفرقوا، وحينما سأل الرسول الكريم عن ابن عوف أثناء سير المعركة فقال له

(الحارث بن الصُمة) إنه يجابه نفراً من المشركين منفرداً في جنب الجبل، وعندما رأيته هكذا هممت لنجدته ومؤازرته، لكن عندما رأيتك يارسول الله توجهت نحوك لأمنعك من المشركين، فرد الرسول الكريم بقوله: إن الملائكة تمنع بن عوف، وبعد تجمع نفر من المسلمين حول الرسول الكريم ذهب الحارث بن الصُمة إلى عبد الرحمن لكي يساعده لكنه وجد عجباً، وجد سبعة من المشركين صرعى بين يدي عبد الرحمن فأثنى عليه وقاله له سلمت وسلمت يمينك يا ابن عوف.. أكُل هؤلاء قتلتهم جميعاً فرد عبد الرحمن وقال: لم أقتلهم جميعاً قتلت الأرطأة بن شرحبيل، وهذان اللذان بجواره أما الباقي فتم قتلهم بيد من لم أراهم، حينئذ قال الحارث بن الصُمة صدقت يا حبيبي يا رسول الله[1].

انتهت غزوة أحد ورجع المسلمون إلى المدينة يداوون جراحهم، وفي السنة الخامسة من الهجرة حدثت غزوة الخندق التي شارك فيها عبد الرحمن بن عوف وسببها أن نفراً من زعماء اليهود من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة، واتفقوا مع قريش على حرب المسلمين ثم دعوا غطفان قبيلة من قريش، وكذلك دعوا بني فزارة وبني مرة، وتوعد اليهود مع كل هؤلاء لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما علم الرسول بخبر القوم شاور أصاحبه في هذا الأمر، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فخرج المسلمون من المدينة وكان تعدادهم ثلاثة آلاف مقاتل، فتم حفر الخندق عند سفح جبل سلع، وعندما هاجم المشركون المدينة كان تعدادهم عشرة آلاف مقاتل، وجدوا الخندق في انتظارهم، فعسكر المسلمون حول الخندق بضعة عشرة يوماً، حتى تم النصر للمسلمين من قبل الله العزيز القادر بسببين:

الأول: بسبب نعيم بن مسعود الذي آمن سراً وألب القبائل بعضها على بعض

الثاني: ريح هوجاء مخيفة أرسلها الله – سبحانه وتعالى – في ليلة مظلمة باردة فقلبت قدورهم واقتلعت خيامهم وقطعت أوتادهم، ففروا هاربين إلى ديارهم، وقد صور القرآن العظيم هذا

---

١ مختصر تاريخ دمش . الحافظ بن عساكر ٣٤٨/١٤

المشهد أجمل تصوير في سورة الأحزاب حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) [١]

والنتيجة النهائية لهذا الغزوة المباركة في قوله تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) [٢]

وهكذا كانت النتيجة إيجابية بالنسبة للمسلمين سلبية مدمرة بالنسبة للمشركين، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولما جاءت السنة السادسة في شهر شعبان من الهجرة اختار الرسول صلى الله عليه وسلمعبد الرحمن بن عوف ليقود سرية مكونة من سبعمائة فارس من المهاجرين والأنصار إلى (دومة الجندل) فسار إليها متبعاً أوامر النبي صلى الله عليه وسلمحتى وصلها، ودعا أهلها إلى الإسلام فأبوا في البداية لكنهم ما لبثوا أن آمنوا بعد نصائح زعيمهم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان من نصائح النبي لعبد الرحمن قبل المسير سر باسم الله.. اغز بسم الله – وفي سبيل الله، فقاتل من كفر ولا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً، فهذا عهد الله إليكم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلمفيكم[٣].

وهذا حوار عبد الرحمن – رضي الله عنه – وأهل دومة الجندل بالإضافة إلى زعيمهم الأصبغ بن عبد الكلبي.

عبد الرحمن: ها قد وصلنا دومة الجندل يا رجال فنحن لا نريد حرباً ولكن أمرني الرسول الكريم أن أدعوهم إلى الإسلام وسأفعل الآن: يأهل دومة الجندل إني أدعوكم إلى الإسلام، فإني لم آت لمحاربتكم ولكن لهدايتكم إلى طريق الرشاد

فماذا أنتم فاعلون ؟

---

١ سورة الأحزاب (الآيات ٩-١١)

٢ سورة الأحزاب (الآية ٢٥)

٣ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٩٥ – مختصر بن عساكر ١٤/٣٤٨/٣٤٩

أهل دومة الجندل: نحن لا نريد هذا الإسلام.

عبد الرحمن: يا قوم أدعوكم إلى الإسلام الذي يهدي الناس من ظلام الكفر إلى الهداية والنور.

أهل دومة الجندل: قلنا لك لن ندخل هذا الدين الجديد.

عبد الرحمن: أكررها عليكم مرة ثالثة أدعوكم إلى الإسلام، وهذه هي المرة الأخيرة لكم.

الأصبغ بن عمرو الكلبي: رويدك أيها القائد عبد الرحمن سنتشاور بعض الوقت فأمهلنا حتى نخرج برأي.

عبد الرحمن: لكم ذلك.

الأصبغ: يا قوم إن الرأي عندي أن تقوموا من فوركم وتؤمنوا بهذا الهادي الرشيد وتدخلوا الإسلام، فإنكم لا قبل لكم بابن عوف ورفاقه.

أحد الأهالي: ما هذا يا زعيم دومة الجندل ؟ إننا قادرون على الحرب والنزال والمثابرة على الجهاد.

الأصبغ: مهما تفعلون فإنكم مهزومون أنا أعلم بابن عوف ورفاقه منكم، أنا ذاهب إليه ومقدم له الطاعة والولاء رغبة في الإسلام وليس خوفاً من الحرب والقتال.

أهل دومة الجندل: نحن معك يا زعيمنا وسنقدم له الولاء والطاعة.

الأصبغ: نعم الرأي يا رجال فأسرعوا إليه إنه ينتظر ردنا... أيها القائد عبد الرحمن لقد تشاورنا واجتمعنا على رأي واحد وهو أن ندخل في دين الله أفواجاً لأنه نعم الدين هو.

عبد الرحمن: مرحباً بكم بيننا يا أهل دومة الجندل الأوفياء.

الأصبغ: مرحباً بكم أنتم بيننا – تفضلوا يا رجال الإسلام بالدخول فأهلا بكم وبدين الله.

دخل عبد الرحمن بدومة الجندل واستقر فيها ودعا أهلها إلى الإسلام فآمنوا وأخذ يعلمهم دينهم الحنيف وبعد فترة وجيزة من الزمن جاءه رسول من رسول الله صلى الله عليه وسلميهنؤه بالنصر ويأمره بالزواج من تماضر ابنة الأصبغ زعيم دومة الجندل.

رسول رسول الله: السلام عليكم أيها القائد عبد الرحمن رحمة الله وبركاته.

عبد الرحمن: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ما الأمر أيها الرسول.

الرسول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلمإليك بهذا الكتاب ويأمرك بالزواج من تماضر ابنة الأصبغ بن عمرو الكلبي زعيم دومة الجندل.

عبد الرحمن: بلغ الرسول الكريم مني السلام وقله له سمعاً وطاعة يا رسول الله.

ذهب عبد الرحمن إلى بيت زعيم دومة الجندل في الصباح واستأذنه في أن يسمح له إن أراد أو وافق على الزواج من ابنته تماضر وهذا أمر من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلمفما كان من الأصبغ إلا أن وافق على الفور لكنه استمهل عبد الرحمن بعض الوقت ليأخذ رأي ابنته.

وبالفعل وافقت البنت وأصبحت زوجة لعبد الرحمن بن عوف كما يظهر من الحوار التالي:

عبد الرحمن: السلام عليكم يا سيد دومة الجندل.

الأصبغ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا ابن عوف.

عبد الرحمن: لقد أمرني الرسول الكريم صلى الله عليه وسلمبالزواج من ابنتك تماضر فماذا ترى ؟

الأصبغ: أتسألني يا ابن عوف رأيي ليس لي بعد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلمأمر، لكن انتظرني بعض الوقت سأدخل إلى ابنتي لأسألها رأيها في هذا الزواج، فهذا حقها كما وضح لنا الإسلام وكما بينته لنا في دروسك التي تعقدها بيننا.

عبد الرحمن: صدقت فهذا حقها اذهب وخذ رأيها.

إستاذن الأصبغ من الصحابى الجليل عبدالرحمن بن عوف ودخل داره حيث تجلس ابنته تماضر فدار بينهما حوار على إثره وافقت البنت على الزواج من عبد الرحمن وكانت في سعادة غامرة من هذا الأمر.

الأصبغ: تماضر.

تماضر: أنا هنا يا أبي – أتريد شيئاً.

الأصبغ: نعم يا ابنتي أجلسي فإني أريدك في أمر هام يخصك فأنصتي إلى جيداً.

تمضار: كلي آذان صاغية لك يا أبي.

الأصبغ: لقد جاءني القائد الإسلامي عبد الرحمن بن عوف وطلب يدك ولتعلمـــي أن هـــذا الطلب أمر من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلمفما رأيك؟.

تماضر: أتسألني رأي يا أبي أو بعد أمر المصطفى صلى الله عليه وسلمأمر.. أخرج إليه يا أبت وأبلغه أننا موافقون فنعم الرجل هو.

الأصبغ: بورك فيك يا إبنتي.

دخل الأصبغ على عبد الرحمن ووجهه متهلل بالفرح وقال له أبشر يا ابن عوف فقد وافقت تماضر ودار حوار بينهما:

(ولهذه البشرى كان عبد الرحمن سعيداً في غاية الفرح)

الأصبغ: أبشر يا ابن عوف فلقد وافقت تماضر على الزواج منك بارك الله لكما هذا الزواج.

عبد الرحمن: بارك الله لنا جميعاً يا سيد دومة الجندل اليوم بمشيئة الله تعالى سيتم الزواج فهل توافق ؟

الأصبغ: نعم أوافق.. على بركة الله.

عبد الرحمن: استأذنك في الانصراف.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأصبغ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وعندما تم الزواج استأذن عبد الرحمن من الأصبغ ليعود إلى المدينة ليمارس تجارته الواسعة فقد كان تاجراً من الطراز الأول واصطحب زوجته وجنوده وهم راجعون إلى المدينة، حيـــث اتخـــذ لنفسه داراً جديدة تضمه وتضم زوجته.

عبد الرحمن: استأذنك في العودة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلمفإن لي تجارة واسعة هناك أريد أن أعمل فيها وأديرها.

الأصبغ: تفضل يا عبد الرحمن وسر على بركة الله أنت وزوجك.

عبد الرحمن: هيا يا جند الله.. استعدوا للرحيل إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

استقر عبد الرحمن بن عوف مرة أخرى في المدينة، ولقد مارس عبد الرحمن – رضي الله عنه – مهنته الأساسية في التجارة وذلك بعد استقراره فيها ورجوعه من دومة الجندل بزوجته تماضر وبعد فترة من الوقت أنعم الله عليه وأعطاه الولد فأسماه عبد الله، وفرح عبد الرحمن بالمولود الجديد فرحاً شديداً، ودار بينه وبين زوجته تماضر حديثاً:

عبد الرحمن: الحمد لله على سلامتك يا تماضر.. كيف حالك الآن ؟

تماضر: الحمد لله بما نسمى ولدنا يا عبد الرحمن

عبد الرحمن: نسميه أفضل الأسماء عبد الله الأصغر.

تماضر: نعم الاسم هو على بركة الله سنسميه عبد الله.

ولقد تزوج الصحابي الجليل من زوجات عدة سنروي أخبار بعض أزواجه وأولاد كل واحدة منهن:

الزوجة الأولى: أم كلثوم بنت عقبة بن أب معيط [1]

أمها أروى بنت كريز بن ربيعة، وجدتها أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمت أم كلثوم بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد صلح الحديبية بين النبي والمشركين وهي القرشية التي خرجت من بين أهلها وحيدة من مكة، وصحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة في هدنة صلح الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة بن عقبة، فقدما المدينة فقالا يا محمد أوفي لنا شروطنا وما عاهدتنا عليه، فقالت أم كلثوم يا رسول الله أنا امرأة، وحال النساء ما قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي، فأنزل الله فيها وفي المهاجرات من النساء قرآن يتلى كما جاء في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٢٣٠ – سير أعلام النبلاء ٢/٢٧٦

أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّـهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) [١]

وتنفيذاً لحكم الله بقيت أم كلثوم في المدينة فتزوجها زيد بن حارثة، ولما استشهد زيد يوم مؤتة تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت محمد وبه يكنى عبد الرحمن وولدت له أيضاً إبراهيم وحميداً وإسماعيل وحميدة وأمة الرحمن، ولقد مات عنها عبد الرحمن فتزوجت من بعده عمرو بن العاص فماتت عنه.

الزوجة الثانية: حبية بنت جحش [٢]

أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت حبيبة تستحاض [٣] سبع سنين وهي عند عبد الرحمن فسألت رسول الله في ذلك فقال: فقال إنما هذا عرق وليس بحيضة فاغتسلي وصلي، ولم تلد للصحابي الجليل عبد الرحمن أي ولد.

الزوجة الثالثة: سهلة بنت سهيل بن عمرو [٤]

أسلمت بمكة قديماً وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلموهاجرت إلى الحبشة الهجرتين مع زوجها أبي حذيفة، ولما مات تزوجها عبد الله بن الأسود ثم شماخ بن سعيد ثم عبد الرحمن بن عوف فولدت له سالماً.

الزوجة الرابعة: تماضر بنت الأصبغ بن عمرو الكلبي [٥]

هذه الزوجة ولدت له عبد الله الأصغر الملقب بأبي سلمة الفقيه وهي أول كلبية تزوجها قرشي وهو ما سيأتي الحديث عنها بعد ذلك.

---

١ سورة الممتحنة (الآية ١٠)

٢ الطبقات الكبرى لان سعد ٨/٢٤٢

٣ ينزل منها دم غير دم الحيض

٤ الطباق الكبرى لابن سعد ٨/٢٧٠

٥ المرجع السابق ٨/٢٩٩-٣٠

الزوجة الخامسة: أم حكيم بنت قارظ [1]

أم حكيم هذه خطبها رجال كثيرون لكنها جعلت أمرها إلى عبد الرحمن بن عوف وقالت له: إنه قد خطبني غير واحد، فزوجني أيهم رأيت، فقال: وتجعلين ذلك لي، فقالت: نعم، فقال: قد تزوجتك، وولدت له أبو بكر ثم تزوجت بعده عبيد الله ابن العباس.

وإذا رأينا بيان فضل عبد الرحمن عند الرسول الكريم فإننا نراه حينما أمر الرسول صلى الله عليه وسلمأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بالزواج من عبد الرحمن – رضي الله عنه – وذلك بعد التفرقة بينهما وبين الزبير بن العوام فقد قال لها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم: انكحي سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف، وبالفعل استجابت المرأة المسلمة لأمر الرسول الكريم وتزوجته بعد انقضاء عدتها وولدت له محمد وإبراهيم وحميداً [2]، وأصبح عبد الرحمن يكنى بأبي محمد القرشي الزهري التاجر الأمين الصدوق.

وعن عبيد بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلمأعطى رهطاً منهم إلا عبد الرحمن بن عوف فلم يعطه معهم، فخرج عبد الرحمن يبكي فلقيه عمر بن الخطاب فقال ما يبكيك فقال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلمرهطاً وأنا معهم وتركني و لم يعطني، فأخشى أن يكون منع رسول الله موجدة وجدها عليّ، قال: فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلمفأخبره خبر عبد الرحمن وما قال، فقال: رسول الله: ليس بي سخط عليه ولكني وكلته إلى إيمانه[3].

وإمعاناً في الفضل للصحابي الجليل كان – رضي الله عنه – رابع أربعة دخلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلمحين دفنه كما جاء في إحدى الروايات مع علي رضي الله عنه – والفضل بن العباس وأسامة بن زيد[4].

---

١ المرجع السابق ٤٧٢/٨

٢ الرياض النضرة في مناقب العشرة ج ٢

٣ مختصر تاريخ بن عساكر ٣٥٤/١٤ – مصنف عبد الرازق ٢٠٤١٠.

٤ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٠/١

أما من ناحية غناه – رضي الله عنه – فكان يعد أكثر أهل المدينة مالاً، فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلمفقال له: يا ابن عوف إنك من الأغنياء[1].

وبشرى الرسول حق وصدق، ومن هذا اليوم يوم بشرى الرسول صلى الله عليه وسلمله يضع نصب عينيه الإنفاق في سبيل الله بمعظم ماله حتى يطلق الله قدميه عند دخوله الجنة، وأيضاً لمرضاة مولاه جل شأنه عنه، فرضا الله هو مقصده ومنتهاه في هذه الحياة الدنيا.

ولقد شهد عبد الرحمن – رضي الله عنه – جميع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلممن فتح حصون خيبر وشهد عمرة القضاء وفتح مكة وغزوة تبوك، ولقد كان ابن عوف رضي الله عنه كثير الإنفاق جواداً سخياً يعطى من ماله من غير حساب في عهد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلمومن بعده أيضاً، ففي يوم من الأيام والرسول الكريم جالس بين أصحابه إذ قال عليه الصلاة والسلام لصحابته إني أريد أن أبعث بعثاً فتصدقوا، فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله عند أربعة آلاف ألفان أقرضتهما ربي وألفان لعيالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " بارك الله لك فيما أعطيت وبارك الله لك فيما أمسكت ".

ليس هذا فحسب بل نجده في غزوة تبوك يتصدق بنصف ماله وقد تم تجهيز خمسمائة فرس وخمسمائة راحلة من ماله فقد كان – رضي الله عنه – من أثرياء الصحابة.

وقد أخرج الحافظ أبو القاسم عن عمر بن الخطاب قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلمفي منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحيفة منها حيس[2] ورغيفان بينهما أهالة [3]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم" كفاك الله أمر دنياك وأما آخرتك فأنا لها ضامن " [4].

وعن علمه وحفظه لكلام رسول الله فقد روى أن لعبد الرحمن بن عوف في الصحيحين خمسة

---

١ أرجه الحاكم ٣/٣١١ – الحلية ١/٩٩

٢ حيس : تمر يخلط بسم وأقط

٣ أهالة : دسم اللحم

٤ الرياض النضرة في مناقب العشرة ج ٢

وستون حديثاً رواهم عن النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وهكذا تسنى للدولة الإسلامية أن تبنى وتصير أكبر دولة ظاهرة في الأرض بعد موت الرسول الكريم خاصة في عهد الفاروق عمر، فقد وضع الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الأسس والثوابت التي يتم عليه بناء أركان الدولة، فقد أنشأ عليه الصلاة والسلام مصنعاً للرجال فأخرج لنا ثلة من الأبرار الذين ملكوا الدنيا وتربعوا على عرش مملكتي الفرس والروم، فقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم. صحابته على الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم تشخص فيه الأبصار، يوم يعرضون على الحي الذي لا يموت، وبهذه الأسس التي وضعها الرسول الكريم في قلوب صحابته، سادوا الدنيا بما عليها وذلك بفضل تمسكهم بقيم دينهم الرشيد، وإتباعهم رضوان الله وتعاليمه التي لو تمسك بها المسلمون في أي زمان وفي أي مكان لأصبح لهم الصولجان والعزة والكرامة لأنهم مع من ؟.. مع العزيز القهار الذي يعز من استعز به ويذل من تركه، وهكذا هي سنة الله في كونه، فالله سبحانه وتعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

---

١ الأعلام لخير الدين الزركلي

الفصل السادس

عبد الرحمن مستشاراً للصديق والفاروق

عندما وضحت تعاليم الله وأوامره في وجدان المسلمين وعقولهم رحل الرسول الأعظم محمدصلى الله عليه وسلم ملبياً نداء ربه فهو على موعد مع حبيبه، فقد خُير النبي صلى الله عليه وسلمبين الدنيا وبين ملاقاة الله فاختار الله سبحانه وتعالى، وهكذا بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى تولى صاحبه الكريم الصديق أبو بكر الخلافة وهو أهل لها، ولقد صادف الصديق صعوبات عديدة في مستهل خلافته أهمها وأقواها عليه محاربة المرتدين، واستعان على هؤلاء بصحابته الأجلاء المخلصين أصحاب الشورى والرأي أمثال عمر بن الخطاب – عثمان بن عفان – علي بن أبي طالب – عبد الرحمن بن عوف – معاذ بن جبل – أبي بن كعب – زيد بن ثابت وغيرهم من أشراف الصاحبة.

وتعال بنا نرى رأي عبد الرحمن – رضي الله عنه – عندما استشاره الصديق في محاربة المرتدين ومحاربة الروم..

عبد الرحمن: السلام عليكم يا خليفة رسول الله.

الصديق: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته... أجلس يا أبا محمد فإني أود استشارتك في أمور عدة.

عبد الرحمن: خير إن شاء الله.

الصديق: ما رأيك في هؤلاء المرتدين مانعي الزكاة ؟ وماذا تفعل معهم؟

عبد الرحمن: رأي هو السيف.

الصديق: هذا هو رأي أيضاً يا صاحبي، لكن ماذا تقول في إرسال جيش أسامة بن زيد لمحاربة الروم كما أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلمقبل موته ؟

عبد الرحمن: يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد، وركن شديد، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاماً، ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك

بهم مراراً أضروا بهم، وغنموا من أداني أرضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضي اليمن، وأقاصي ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعاً إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت أغزيتهم ثم سكت وسكت الناس[1].

وهذا الأمر أمرُ من الرسول ولا يجب الرجوع فيه فتوكل على الله يا خليفة رسول الله وأنفذ جيش أسامة ليغير عليهم في قواصي أرضهم ثم يرجع إليك.

الصديق: لكن كبار الصحابة يعارضون هذا الرأي من أمثال عمر بن الخطاب.

عبد الرحمن: هو تنفيذ أمر الرسول الكريم كما أراد، ولا تتردد في ذلك أبداً فإن الرسول الكريم لا يأمر في شيء إلا وكان فيه خير كبير على المسلمين.

الصديق: نعم الرأي يا أبا محمد، هذا هو رأيي الذي انتهيت إليه.. بورك فيك وجزاك الله خير الجزاء على هذه النصائح.

وبالفعل استجاب الصديق لفطرته النقية وآراء أصحابه أمثال عبد الرحمن بن عوف فقام من فوره بمحاربة المرتدين مانعي الزكاة، وكان – رضي الله عنه – بنفسه على قيادة الجيش في محاربة بعض المرتدين حيث تم في هذه الآونة إنفاذ جيش أسامة طبقاً لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلمومن ثم قاد الصديق الجيش بنفسه إلى أن قضى رضي الله عنه على فتنتهم وتمردهم، وكانت حرب اليمامة من حروب المرتدين التي تعتبر من أشد الحروب خطراً، فقد تفحش مسيلمة الكذاب وانتشر أمره بين الناس وأصبح ظاهراً للجميع على أنه نبي قد اشترك مع المصطفى صلى الله عليه وسلمفي رسالته، لذا تجمع حوله أكثر من عشرة آلاف مقاتل وغالبيتهم حديثو عهد بالإسلام الذي استقطبهم مسيلمة وأتباعه وقال لهم أنه أشرك في الرسالة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولجسامة هذا الأمر نجد الصديق أبو بكر استعد لهذه الحرب جيداً وبعث بخيرة قواده سيف الله خالد بن الوليد على رأس جيش ضخم ضم العديد من الألوية وذلك للقضاء على فتنة هذا الزنديق الذي يدعي النبوة، وتلاحم الجيشان ودار قتال رهيب جدُ رهيب وسطر المسلمون تاريخاً مضيئاً في هذه المعركة وتساقط الآلاف من جيش مسيلمة الكذاب، وتساقط المئات من شهداء

---

١ مختصر تاريخ بن عساكر ١٢٦/١

المسلمين تباعاً إلى أن أذن الله سبحانه وتعالى بقتل مسيلمة وحزبه، وانتصار أهل الإسلام والقضاء نهائياً على فتنة المرتدين وليس المرتدين فقط لكن القضاء على كل من تسول له نفسه ادعاء النبوة وادعاء الباطل في أي زمان وفي أي مكان.

وهكذا ثَبَّتَ أبو بكر الصديق أركان الدولة الإسلامية بالقضاء على المرتدين نهائياً، وفتح كثير من البلاد التي يسيطر عليها الفرس والروم حتى فتحت بلاد كثيرة في عهده رضي الله عنه، وعندما أحس الصديق بالنهاية أراد أن يختار خليفة للمسلمين حتى لا يختلف الناس كما اختلفوا – بعد موت الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم– في سقيفة بني ساعده، لذا دعا إليه صاحب المشورة والرأي السديد صاحبه عبد الرحمن بن عوف، فلبى ابن عوف النداء وذهب إلى دار أبي بكر فوجده مريضاً وحدثت محاورة بينهما:

عبد الرحمن: السلام عليكم يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته.

أبو بكر: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أبا محمد.. تفضل بالجلوس.

عبد الرحمن شفاك الله وعفاك.

أبو بكر: جزيت خيراً يا أبا محمد، لقد دنا الأجل مني ولقد بعثت إليك لأستشيرك في أمر هام.

عبد الرحمن: ماهذا الأمر يرحمك الله ؟

أبو بكر: ما رأيك في عمر بن الخطاب في تولي الخلافة من بعدي، قد وصلت إلى هذا الرأي لثقتي الشديدة فيه وصحبتي الطويلة له، وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلمعنه: " لو كان نبي بعدي لكان عمر " هذا فضلاً عن قوته في الحق وجرأته على أهل الباطل والشرك، كل هذا الأمور هي التي جعلتني أوكل إليه الخلافة من بعدي فماذا ترى ؟

عبد الرحمن: نعم الرأي يا خليفة رسول الله، ونعم الرجل هو فهو خير من يصلح لتولي أمر المسلمين إلا أن عمر به بعض الغلظة.

أبو بكر: لا تخف يا عبد الرحمن من هذه الغلظة، فهذه الغلظة تكون ضد أعداء الله فقط، وهي ليست دائمة فيه فهو صاحب قوة وغلظة في الحق وصاحب لين ورفق مع الضعيف.

عبد الرحمن: والله إن رأيي في عمر أفضل من رأيك فيه يا أمير المؤمنين[1]. فتوكل على الله في هذا الأمر.

أبو بكر: استحلفك بالله ألا تخبر أحداً مما جرى بيننا اليوم.

عبد الرحمن: سمعاً وطاعة يا خليفة رسول الله.

ولما مرض الصديق واشتد عليه المرض بعث إلى عبد الرحمن بن عوف أيضاً حيث كان مستشاره الخاص وقال له:

إني لا آسي على شيء إلا ثلاث فعلتهن وودت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وودت أني فعلتهن، وثلاث وددت أن سألت رسول الله صلى الله عليه وسلمعنهن:

وددت أني يوم السقيفة كنت قذفت بالأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر بن الخطاب فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أني حيث وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسط يدي يميناً وشمالاً في سبيل الله، أما الثلاث التي وددت أني سألت عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلمفوددت أني سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله ووددت أني كنت سألته هل الأنصار في هذا الأمر شيء[2]

وعن عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفى فيه فسلمت عليه وسألته: كيف أصبحت ؟ فاستوى جالساً وقال أصبحت بحمد الله بارئاً فقال إني على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه، رجاء أن يكون الأمر إليه (يقصد خلافة عمر بن الخطاب)، ورأيت الدنيا أقبلت، ولما تقبل وهي خائفة، وستجللون بيوتكم بستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون النوم على الصوف الأذربي[3]، كأن أحكم على مسك السعدان [4] والله لأن يقدم أحدكم

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٩/٣

٢ مواقف في حياة العشرة المبشرين بالجنة .

٣ نسبة إلى أذربيجان

٤ السعدان : نبات له شوك

فيضرب عنقه في غير حد خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا، ثم ذكر له أشياء[1].

عبد الرحمن مستشارا في عهد الفاروق:

لبى خليفة رسول الله الصديق أبو بكر نداء ربه واختار الجنان العالية عند ربه وتولى الخلافة من بعده عملاق الإسلام وصاحب باب مدينة العدل المارد القوي عمر بن الخطاب بناء على كتاب تركه أبو بكر – رضي الله عنه – استخلف فيه الفاروق، و لم ينسى عمر الفاروق – رضي الله عنه – عبد الرحمن بن عوف فاختاره مستشاراً من ضمن أعضاء مجلس شوراه فلمع فيه وأبدى الكثير من الآراء التي توافق الشريعة والسنة، وتوافق كذلك رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحصافته المعهودة فيه، وعندما أراد الفاروق أن يبعث جيوشاً إلى بلاد فارس بعث إلى عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – ليستشيره في هذا الأمر فلبى الدعوة واتجه صوب أمير المؤمنين ودارت بينهما محاورة:

الفاروق عمر: لقد سمعت آراء معظم الصحابة من أمثال سعد بن أبي وقاص – طلحة بن عبيد الله – الزبير بن العوام – علي بن أبي طالب – عثمان بن عفان، لكن لم يتبق إلا أنت يا عبد الرحمن.

عبد الرحمن: في أي شيء تريدني يا أمير المؤمنين ؟

عمر: لقد أجمع معظم الصحابة على أن أقوم بنفسي بقيادة الجيوش إلى بلاد فارس ما رأيك؟

عبد الرحمن: إن أصحاب هذا الرأي يرون أنك خير من يصلح لتولي الجيوش ولكنني أرى أن تظل بالمدينة تسير أمورها وتحكم بما تريد وترى، وتبعث لهذا الأمر قائداً محنكاً خبيراً، فإن تمت الهزيمة – لا قدر الله – فليس ذلك مثل هزيمتك وأنت على رأس الجيش.

عمر: نعم الرأي يا أبا محمد... هذا ما نويت فعله، ولقد اتخذت هذا القرار لكنني أردت أن آخذ رأيك والحمد لله أنه وافق رأيي، جزيت خيراً يا أبا محمد لكن من الذي يصلح لهذه المهمة

عبد الرحمن: الأسد في براثنه سعد بن مالك بن أبي وقاص.

---

١ رواه الطبراني ، مجمع الزوائد ٥/٢٠٢.

فولاه عمر بعد موافقة أهل المشورة وكان الفتح على يديه في القادسية [1].

لقد أفاء الله سبحانه وتعالى على الأمة إذ أرسل لها رجل من خيرة البشر وخيرة خلقة وأشدهم عدلاً وتقوى وورعا ذلك هو الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، الحق الذي يتبع ويسود ويملأ أرجاء المجتمع، والباطل الذي يجب أن يخبو ويتلاشى في ظل خازن مدينة العدل، فنجده – رضي الله عنه – يبعث الجيوش إلى كل البلاد لكي يتم الرسالة التي علقت به والتي سيسأل عنها يوم القيامة فها هو – رضي الله عنه – يعي هذا الأمر جيداً، ففي عهده دانت الدنيا بمن فيها لحكم المسلمين، فقد تربعت الدولة الإسلامية في عهد الفاروق على عرش مملكتي الفرس والروم أعظم دولتين في ذلك الزمان وذلك بفضل تنفيذ الفاروق لأوامر ربه سبحانه وتعالى وتنفيذ ما جاء به رسولنا صلى الله عليه وسلمفنراه في السنة الأولى لاستخلافه على المسلمين يستخلف عبد الرحمن بن عوف على الحج، وعندما أذن الفاروق لأمهات المؤمنين للخروج للحج حملهن في الهودج وبعث معهن ذا النورين عثمان بن عفان، ومليارديرالصحابة عبد الرحمن بن عوف فكان عثمان رضي الله عنه يسير على راحلته أمامهن، وعبد الرحمن رضي الله عنه يسير من ورائهن على راحلته أيضاً.

ولبيان منزلة بن عوف:

تقول أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول لأزواجه: إن الذي يحافظ عليكن من بعدي لهو الصادق البار ثم قالت " اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة " [2].

صدقت يا رسول الله فان ابن عوف لهو حقاً الصادق البار فقد حافظ على كل شيء يخص الإسلام بصلة فهو صادق في كل عمل يعمله وكل أمر أو فعل يود أنجازه.

بارا بالضعفاء والفقراء واليتامى والمساكين، بارا بأقربائه يصل رحمه بكل ما أوتى من قوة ومال ومناصرة، وكذلك عندما يحافظ على نساء النبي أمهات المؤمنين فهو يستحق لقب الصادق

---

١ تاريخ الطبري ٨٣/٤ عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، البداية والنهاية ١٠٣/٥

٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣

البار " سقاك الله يا بن عوف من سلسبيل الجنة " كما قالت أم المؤمنين أم سلمة وليس أبا محمد عبد الرحمن بن عوف صادقاً باراً بالآخرين فقط، لكنه قبل ذلك كان صادقاً باراً بأمه أيضاً، فحينما ماتت أمه (الشفاء بنت عوف) سأل الرسول الأعظم محمد: هل أعتق عن أمي يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلمنعم، فأعتق عن أمه وفي هذه السنة جاء العتق عن الميت وكانت أمه قد أسلمت وحسن إسلامها كما أسلفنا، وكان – رضي الله عنه – باراً أيضاً بوالده العوف بن زهرة طوال حياته، وكان والده قد قتل على يد حي شرير يسمى خديمة، وكان من شدة شر هذا الحي كان يسمى " لعقة الدم " كناية عن شدة القسوة والقتل والدمار لمن يقع في أيديهم، وكان هذا الحي قد قتل أيضاً عمي خالد بن الوليد – رضي الله عنه، ونظراً لسمو روح عبد الرحمن لم يترك قاتل أبيه من هذا الحي إلى أن تمكن من ذلك فقتل قاتل أبيه، وكذلك خالد بن الوليد انتقم من هذا الحي فقتل الكثير منهم ثأراً لعميه الفاكه وأخا الفاكه.

وكان أمير المؤمنين في بداية خلافته له هيبة كبيرة، فالناس تخشى عمر لبطشه في الحق وورعه وتقواه وعدله، فالناس عندما تأتي لقضاء بعض حوائجها تخشى أن تتحدث إليه من قوته وهيبته، لهذا وجدنا على بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام يتحدثون إلى عبد الرحمن في هذا الأمر لكي يتحدث مع أمير المؤمنين عمر بهذا الذي يحدث، فهم يعلمون أن عبد الرحمن هو أجرأ الناس على عمر، و لم ينتظر الصحابى الجليل وقام وخاطب عمر في ذلك فرد عليه عمر قائلاً:

يا عبد الرحمن والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله سبحانه وتعالى من هذا اللين ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله سبحانه من هذه الخشية، فأين المخرج ؟ حينئذ ردّ ابن عوف قائلاً: أف لهم بعدك... أف لهم بعدك [1] (وقام يبكي ويجر ردائه).

وكما علمنا سابقاً أن عبد الرحمن كان مستشاراً للفاروق فى كل أموره، وهاهي مسألة تمس حياة الأمة الإسلامية تعرض على عبد الرحمن ألا وهي جلد شارب الخمر إن شربها و لم يرتدع، وكان عمر بن الخطاب قد عرض القضية على ذوي الرأي والمشروة من الصحابة الأجلاء فاختلفوا فيما بينهم في القليل والكثير فما كان من أمير المؤمنين إلا أن عرض القضية بمشتملاتها وبرمتها على أمين أهل السماء والأرض فأفتاه أن يتم جلد شارب الخمر ثمانين جلدة فاستحسن عمر هذا

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٨٧ ، ٢٨٨

القصاص وأخذ برأي ابن عوف وكتب إلى خالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح لتطبيقه في الشام وفتوى ابن عوف جاءت من جعله كأخف الحدود فهو يرى بفطنته أن من شرب الخمر سكر ومن سكر هذي ومن هذي قذف، وحد القذف ثمانين جلدة، من هنا جاءت فتوى ابن عوف للفاروق، فالخمر تذهب العقل، لذا حرمها الله سبحانه وتعالى تحريماً قاطعاً مصداقاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) [١]

وهكذا استقامت حياة المسلمين بتولية عمر بن الخطاب أمرهم، ونظراً لقمة عطائه في العدل والتقى والزهد والورع والخوف من الله انتشر الإسلام في شتى البلاد حتى وصل بلاد فارس والشام، وعندما تم فتح بلاد الشام على المسلمين رأى الفاروق أن يذهب بنفسه إلى هذه البلاد، لكنه عندما اقترب منها قابله أمراء جنده، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه وأخبروه أن مرض الطاعون (طاعون عمواس) قد وقع في هذه البلاد فقال الفاروق لأبي عبيدة: أدع لي المهاجرين فاستشارهم فاختلفوا في الدخول أو الرجوع، ثم دعا له من وجد من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فاستقروا على الرجوع إلى المدينة وسارت الأمور بين الأطراف على نحو شد وجذب بين أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، حينئذ نادى عمر – رضي الله عنه – في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، حتى جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً فسأله عمر: هل معك شيء من السنة في هذا يا ابن عوف ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: " إذا سمعتم به (الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها لا تخرجوا فراراً منه ". فقال عمر بن الخطاب الحمد لله الذي هدانا إلى الرشاد.. جزاك الله خيراً يا أبا محمد،

---

١ سورة المائدة (الآيتان ٩٠-٩١)

ثم انصرف رضي الله عنه ورجع إلى المدينة [1].

وتعرض عمر رضي الله عنه لأمر المجوس فاحتار كيف يعاملهم فأنه لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلمشيئاً عنهم فما كان من بن عوف إلا أن أدلى بدلوه وقال: يا أميرالمؤمنين أشهد أني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: " سنوا بهم سنة أهل الكتاب " [2].

و لم يكن عمر رضي الله عنه يأخذ جزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلمأخذها من مجوس هجر [3].

وعن شفاعته – رضي الله عنه – عند عمر لحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر، وذلك حينما هجا الحطيئة الزبرقان بأبيات فتوجه الزبرقان إلى عمر بشكوى فاستشار عمر حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلمفقال له حسان: أقد هجاه وأغلظ عليه، فأمر بالحطيئة فألقاه في بئر جعله عمر حبساً، فجعل الحطيئة يقول الأشعار التي يستعطف بها عمر، ويرسل بها إليه، وعمر لا يلتفت إليه، حتى شفع له عبد الرحمن بن عوف، فرقّ له عمر وأخرجه وأخذ عليه عهداً أن لا يهجو أحداً من المسلمين [4].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قدمت قافلة من التجار المدينة فنزلوا المصلى، فقال لي عمر: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة ؟ فبتنا نحرسهم ونصلي ما كتب الله لنا [5].

وعن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن العوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – ليلة في المدينة، فبينما هما يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونة، فلما دنا منه فإذا باب مجاف – ليس محكم الإغلاق – على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة، فأخذ عمر بين عبد

---

١ البداية والنهاية ٥/١٥٠ – الحديث أخرجه البخاري برم (٥٣٩٧)– وصحيح مسلم برقم (٢٢١٩).

٢ أخرجه الإمام مالك في الموطأ برقم (٧٤٢)

٣ أخرجه الترمذي برقم (١٥٨٦)– وأبو داود برقم (٣٠٤٣)

٤ أخبار عمر للطنطاوي ص ٢٥٠ ، نقلا عن مصادر مختلفة

٥ مناقب عمر لابن الجوزي ص ٦٨

الرحمن وقال له: أتدري بيت من هذا ؟ فقال عبد الرحمن: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن يشربون الخمر، فما ترى ؟ فقال عمر: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا)[1] وقد تجسسنا وانصرفا عنهم[2].

ولما فتح الله على المسلمين بلاد فارس وقدمت عليه أموال الأخماس[3] من جلولاء، قال عمر: والله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه، فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد، فلما أصبح جاء عمر رضي الله عنه في الناس فكشف عنه الغطاء الذي غطى به، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده بكى فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر ؟! فقال عمر – رضي الله عنه –: والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم[4].

وروى الزهري عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أن أباه نام وهو عائد من الحج، فلما استيقظ قال: والله إني لأرى عمر أقبل يمشي حتى رقد وولى مدبراً ثم ولى مدبراً فانطلق الناس في طلبه ودعوته بثيابي فلبستها فطلبته مع الناس فكنت أول من أدركته والله ما أدركته حتى حسرت فقلت: والله يا أمير المؤمنين لقد شققت على الناس، والله لا يدركك أحد حتى يحسر، والله ما أدركتك حتى حسرت فقال: ما أحسبني أسرعت ! والذي نفس عبد الرحمن بيده إنه لعمله[5] (يعني أنه سبق الناس بعمله).

وفي إحدى جلسات أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه سأل ابن عباس رضي الله عنه عن السهو في الصلاة وهل سمع شيء من رسول الله فأجاب ابن عباس بلا، ثم ما لبث أن دخل المجلس عبد الرحمن بن وف فسأله عمر أسمعت شيئاً من الرسول الكريم عن السهو في الصلاة فقال عندي

---

١ سورة الحجرات (جزء من الآية ١٢)

٢ مصنف عبد الرازق برقم (١٨٩٤٣)

٣ الطبقات الكبرى ٣/٣٨٨،٢٨٧

٤ أخبار عمر ،نقلاً عن شذرات الذهب ٣/٣٧٦

٥ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٧٦

علماً من هذا، فقال عمر: فحدثها فأنت عندنا العدل الرضي فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: " إذا شك أحدكم في الاثنتين والواحدة فليجعلها ثلاثاً حتى يكون الوهم في الزيادة ثم ليتم ما بقى من صلاته، ويسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم"، وزاد في رواية أخرى: ثم يسلم[1].

وروى أن أعرابياً أتى عمر – رضي الله عنه – وقال له: إني اصطدت ظبياً وأنا محرم، فالتفت عمر إلى عبد الرحمن بن عوف فقال: قل، فقال عبد الرحمن: يهدي شاة، فقال عمر للأعرابي: خذ شاة من الغنم فتصدق بلحمها، فقال الأعرابي ما درى يأمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فضربه عمر بالدرة وقال: أتقتل في الحرم وتغمس الفتيا ؟! (أي تستهين بها) إن الله عز وجل قال: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ)[2]، فأنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف.

ودعونا نستمع إلى سرد بن عوف فقال بعث إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فأتيته فلما بلغت الباب سمعت نحيبه فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أعترى أمير المؤمنين " أي أصابه مس أو جنون " فدخلت فأخذت بمنكبه وقلت لا بأس لا بأس يا أمير المؤمنين، قال بل أشد البأس فأخذ بيدي فأدخلني الباب فإذا بحقائب بعضها فوق بعض فقال: إن الله لو شاء لجعل هذا إلى صاحبيّ (النبي وأبي بكر) فسنَّا لي فيه سنة أقتدي بها، قلت اجلس بنا نفكر فقسمناها لأمهات المؤمنين أربعة آلاف، أربعة آلاف وللمهاجرين مثل ذلك، ولسائر الناس ألفين حتى وزعناها جميعها[3].

وإذا كان ابن عوف قد صلى بالناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلمو لم يكن هذا فحسب لكن صلى خلفه الرسول صلى الله عليه وسلمفجدير به وهو في عهد عمر أن يصلي بالناس حينما يأمر بذلك من الفاروق، وذلك أنه حينما دخل أبو لؤلؤة المجوسي بين صفوف المسلمين وفي يده خنجر له رأسان، وعلى حين غفلة من المصلين عند السجود تم طعن أمير

---

١ مختصر تاريخ بن عساكر ٣٤٣/١٤، الحديث أخرجه الترمذي برقم (٣٩٨) ،وأخرجه ابن ماجة برقم (١٢٠٩)

٢ سورة المائدة (من الآية ٩٥)

٣ حياة الصحابة نقلا عن أبي عبيد – منتخب كنز العمال ٣١٨/٢

المؤمنين عمر بعدة طعنات نافذة إحداها تحت صرته ومع ذلك حاول أمير المؤمنين أن يكمل الصلاة، و لم يخر من هول هذه الطعنات لكنه – رضي الله عنه – من شدة الجروح والدم الطاهر الذي يخرج من جسده سقط على الأرض، وعندما سقط تجمع الناس من حوله فسألهم أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا: نعم، قال: فليتقدم وليصل بالناس، وتنفيذاً لأمر الفاروق تقدم ابن عوف وصلى بالناس وعمر بجانبه طريحاً ثم بعد الصلاة حمل الفاروق وأدخل داره.

أرأيتم ورعاً وتقوى أكثر من هذا، فعمر لا يعنيه ما هو في من مكابدة للآلام من أثر هذه الطعنات الغادرة التي تنم عن حقد دفين للإسلام وأهله، وإنما الذي يعنيه ويخاف منه عمر ألا يتم المسلمون صلاتهم فيسأل عن ذلك عمر يوم القيامة.

لك الله يا أبن الخطاب حتى وأنت في أحلك الظروف والمواقف تتصرف وكأنك مارد قوي، وعندما أدخل داره ودمه الذكي ينزف بشدة طلب عبد الرحمن بن عوف لكي يحدثه في أمر الخلافة من بعده، لكن ابن عوف إمام الزهاد وصاحب كتيبة الأغنياء والفقراء قال له: يا أمير المؤمنين لا يمكن أن أقبل هذه الأمانة الكبرى. هل تقبل مشورتي ؟ قال عمر: نعم، قال: أشير عليك بغيرى، فهذا محبب إلى نفسي أكثر من الخلافة ذات العبء الثقيل، فقال له عمر رضي الله عنه هذه مسئولية كبرى بالفعل وسأوكلها إلى نفر قد رضى عنهم الرسول صلى الله عليه وسلمقبل موته بل وبشرهم بالجنة أيضاً، ثم ما لبث أن طلب من عبد الرحمن أن يدعو له عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، سعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام. فلما جاءوا قال عمر: إني وضعت الأمانة في أعناقكم جميعاً بالإضافة إلى أخانا طلحة بن عبيد الله وهو الآن غائب عن المدينة فانتظروه ثلاثة أيام، فإن لم يحضر فامضوا أمركم واختاروا من بينكم الخليفة إذا مت وتشاوروا ثلاثة ولا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، وليحضر معكم عبد الله بن عمر مشيراً فإن له رأي سديد وصاحب تقى وورع ولا يكون له من أمركم شيئً فالخلافة محصورة فيكم فقط، وقبل موته بساعة دعا عمر أبا طلحة الأنصاري فقال له كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى في بيت واحد، ولا تترك أحد يترك عليك ولا تتركهم يمضوا اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم، وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد منهم فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة ورضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فأضرب رؤوسهما فإن

رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم بـــن عمـــر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم[1].

وعندما اختار عمر بن الخطاب ما عند ربه من متاع وحياة حقيقية ترك فراغاً كبيراً لم ولـــن يُملأ إلى يوم القيامة فقد كان – رضي الله عنه – مخلوقاً لحكمه ربانية يعلم مداها ربنا جل شأنه، فلولا عمر في سنوات حكمه لما قامت الدولة الإسلامية، ولما كان هناك وجود للإسلام على ظهر الحياة الدنيا، ولقد ساد الإسلام في عصره مشارق الأرض ومغاربها، وظهر العدل في زمانه على أنه واقع فعلي يجسد على الحياة وليس شيئاً معنوياً يعرف بالكلام أو يقرأ بالكتب كما نراه الآن.

رحم الله أمير المؤمنين عمر فقد صار للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـــا منارة للهداية والرشاد، ولن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة وحكمة وفقه رباني أن يحذو حـــذو أمير المؤمنين عمر باستثناء خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز مجدد التقى والورع والعدل في عصر انتفت فيه مثل هذه الأشياء.

وهكذا استشهد عمر كما بشره رسولنا الكريم وحضرت جنازة الفاروق فتبادر إليها علي وعثمان كليهما يريد أن يصلي عليها، فقال لهما عبد الرحمن: ليس هذا لكما، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر بالصلاة بالناس، وقدم صهيباً، ثم أنزل عمر في قبره ونزل معه ابنه عبد الله مع عبد الرحمن بن عوف وعلي وعثمان.

وهكذا رحل الفاروق وترك الأمر من بعده للصحابة الأجلاء الستة لكي يختاروا من بينهم خليفة للمسلمين لهذا اجتمع الصحابة وتشاورا في الأمر وفي الاجتماع الذي يمثل نقطة فاصلة في حياة المسلمين قال عبد الرحمن بن عوف مخاطباً الباقين: أيكم يخلع نفسه من هذا الأمر ؟ فلم يجبه أحد، فقال رضي الله عنه: أنا أخلع نفسي من الخلافة وأختار خليفة من بينكم أترضون بي حكماً ودارت محادثة بينهم:

عبد الرحمن بن عوف: أيها الصحابة الكرام أنتم جميعاً مات الرسول صلى الله عليه وسلموهو

---

١ البداية والنهاية ٢٢٦/٥ ، مناقب عمر ٢١٥-٢٢٠ ، أخبار عمر ٤٠٤، ٤٠٦ – الطبقـــات الكبرى لان سعد ٣٣٦/٣ ، ٣٣٧،٣٣٨

راض عنكم وكذلك الفاروق عمر، أيكم يخلع نفسه من هذه الخلافة ويصير حكماً لاختيار الخليفة الجديد ؟ لماذ لم يجب أحد ؟ أنا أخلع نفسي من هذا الترشيح وأقوم بتولية من يصلح فهل توافقون على حكمي واختياري ؟

الصحابة: بكل تأكيد يا ابن عوف.

علي بن أبي طالب: ولمَ لا يا ابن عوف فأنت أحقنا في الاختيار لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفك: بأنك أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض[1].

الزبير بن العوام: أنا أخلع نفسي من الخلافة يا ابن عوف وأتنازل عن حقي لعلي بن أبي طالب.

سعد بن أبي وقاص: وأنا الآخر أتنازل عن حقي في الخلافة لمن توليه الخلافة يا ابن عوف.

عبد الرحمن: الآن انحصر الأمر بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسأقوم إن شاء الله غداً باختيار الخليفة الجديد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صارت مهمة اختيار الخليفة حمل كبير في عنق الصحابي الجليل عبد الرحمن، فبذل جهداً كبيراً في الاختيار فأجرى – رضي الله عنه – صورة واسعة واستفتاء على عثمان وعليّ أولاً بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلمفهم خير من يعطون الرأي في هذه المسألة، ولم يكتف عبد الرحمن بذلك بل استشار معظم المسلمين عامتهم وقادتهم، فقيرهم وغنيهم، فرادى وجماعات، سراً وعلانية حتى أنه – رضي الله عنه – خلص إلى النساء المحجبات في بيوتهن، وأيضاً الولدان في الكتاتيب، والركبان الوافدين على المدينة حتى كون رضوان الله عليه رأياً قاطعاً في هذه المسألة لكنه أخفاه، وفي نهاية جولته المباركة اجتمع بعلي وعثمان كل بمفرده، وفي إطار سري اجتمع منفرداً أولاً بعلي وقال له لو لم تكن من بين المرشحين من تختار يا علي ؟ فقال: عثمان بن عفان، وانفرد أيضاً بعثمان – رضى الله عنه – وقال له مثل ذلك، فقال: أختار علياً، وبهذا الجهد الخارق للعادة كون أمين أهل السماء والأرض رأياً في هذا الخصوص، لكنه في انتظار صباح الغد ليعلن عن الخليفة الثالث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي صباح اليوم التالي خرج بن

---

١ تاريخ الإسلام ٢/٣٩٥- الطبقات الكبرى لان سعد ٣/١٣٤

عوف بعلي وعثمان وانطلق بهما صوب مسجد رسول الله، ونودي في الناس: الصلاة جامعة.. الصلاة جامعة، لتشهد تنصيب الخليفة الجديد، فامتلأ المسجد بالجموع الغفيرة من المسلمين مهاجرين وأنصار ثم ما لبث عبد الرحمن أن صعد المنبر وبدأ في التحدث إلى الناس.

عبد الرحمن: الحمد لله رب العالمين أن هدانا للإسلام وبعث إلينا رسولنا الكريم ليبين الهداية والرشاد ودعائي إلى الله سبحانه وتعالى أن يجنب المسلمين شر الفتنة وأوجه إليكم أيها المسلمون بمن ترضون أن يكون خليفة ؟

مجموعة من المسلمين: أنت يا عبد الرحمن فأنت أهل لها.

عبد الرحمن: كلا أيها المسلمون فقد خلعت نفسي من الترشيح.

مجموعة أخرى: فليكن عثمان بن عفان.

مجموعة ثالثة: علي بن أبي يطالب أحق بها.

عبد الرحمن: اهدؤوا أيها المسلمون فقد جئنا لاختيار الخليفة في إطار ودي وليس في إطار صراع ومنافسة بغيضة.

فما كان من عبد الرحمن أن نزل من على المنبر وقال: أقبل يا علي وأخذ بيده وقال هل تبايعني وتبايع هؤلاء المسلمين على أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه وأن تنتهج نهج الإمامين السابقين الصديق أبي بكر والفاروق عمر إن وليت الخلافة.

علي بن أبي طالب: اللهم لا.. وسأعمل بمقدار عملي وديني لكن على جهدي من ذلك وطاقتي.

فدعا عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان بعد ذلك إليه وأخذ بيده وقال به: هل تبايعين على أن تعمل بالكتاب والسنة وتتبع فعل أبي بكر وعمر ؟

عثمان بن عفان: قال اللهم نعم.

عبد الرحمن بن عوف: اللهم إني خلعت ما في عنقي من ذلك الأمر ووضعته في رقبة عثمان، أبايعك يا عثمان خليفة للمسلمين.

المسلمون جميعاً: نبايعك يا عثمان خليفة للمسلمين.

وهكذا استقر الرأي على عثمان بن عفان خليفة للمسلمين، وكانت أول يد بابعت الخليفة الجديدمع عبدالرحمن بن عوف يد على بن أبي طالب ثم تزاحم الناس على الخليفة لمبايعته أميراً للمؤمنين.

وإذا أردنا أن نتعرف على مقدار خشية عبد الرحمن بن عوف من ربه عز وجل فنذكر هذا الموقف الذي يدل على أنه رضي الله عنه يملك قلباً خاشعاً خاضعاً لله عز وجل فها هو في داره جالس ينتظر طعام الإفطار حيث كان صائماً فجاءه خدمه بالطعام، ولما رآه بكى بكاءً شديداً حتى تخضبت لحيته بدموعه من كثرتها فواسته زوجته ودارت بينهما محاورة:

عبد الرحمن: ما كل هذا الطعام أيها الخدم أيكون لمثلي كل هذا الطعام، يا ليت أمي لم تلدني.

زوجته: ما يبكيك يا أبا محمد ؟

عبد الرحمن: كل هذا الطعام بأنواعه المتعددة لي، ورسول الله صلى الله عليه وسلمكان يأكل القديد والماء، أيها الخدم أرفعوا عني هذا الطعام فإني أخاف أن يكون عجّل الله لي طيباتي في الدنيا، و لم يبق لي شيئاً في الآخرة.

زوجته: هوّن عليك يا أبا محمد فقد زادت دموعك اهماراً، ألم يعدك الرسول صلى الله عليه وسلمبالجنة، وعدك من العشرة المبشرين بها.

عبد الرحمن: لكني لا آمن مكر الله سبحانه وتعالى، فدعيني أبكي فلقد استشهد مصعب بن عمير فهو خير مني و لم نجد كفن فكفناه في ثوب، إن سترنا رجليه بدا رأسه وإن سترنا رأسه ظهرت رجلاه، واستشهد كذلك سيد الشهداء أسد الله حمزة بن عبد المطلب وقد مثل به أبشع تمثيل وهو خير مني[1]، ولقد مات الرسول صلى الله عليه وسلموما شبع هو وأهله من خبز الشعير وكان صلى الله عليه وسلميفطر يوماً ويصوم يوماً.

يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

---

١ أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٠٠

مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)[١]

أبعد كل ذلك تريدين مني ألا أبكي فليسامحني الله ح فليسامحني الله.

وعن صفته رضي الله عنه تقول سهلة بنت عاصم أن عبد الرحمن كان أبيضاً، أعين، أهدب الأشفار، أقنى طويل النابين الأعليين، له جمة أسفل أذنيه، أعنق، ضخم العنق، ضخم الكفين[٢].

أما عن تواضعه فيحدث السعد بن الحسن ويقول: كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بينه عبيده[٣].

---

١ سورة الطلاق (الآية ٢٠) .

٢ تاريخ الإسلام ٣/٣٩١، مختصر تاريخ بن عساكر ١٤ / ٢٤٣ ، ٢٤٤

٣ تاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٥.

الفصل السابع

وفاة عبد الرحمن في عهد عثمان

اجتمع المسلمون على عثمان بن عفان، وبدأ الخليفة الثالث يسير أمور دولته على منهاج وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولَم لا وهو – رضي الله عنه – الذى تستحي منه الملائكة.

تقول أم المؤمنين عائشة في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلمجمع ثيابه وكان متكئاً فجلس حين دخل عثمان وعندما سئل الرسول عن ذلك قال عليه الصلاة والسلام " ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة "، لهذه المنزلة الرفيعة التي رفع بها مكاناً عالياً بين الصحابة اختير ذو النورين خليفة للمسلمين.

وفي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلمقدم رجل يسأل عن عبد الرحمن ابن عوف فقيل له أنه بالجرف في أرضه (الجرف بعد ثلاثة أميال من المدينة).

فانطلق الرجل حيث المكان المذكور، فوجد عبد الرحمن يحول الماء بمسحاة في يده فدارت بينهما محادثة:

الرجل: السلام عليك يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته.

عبد الرحمن: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... تفضل يا أخي هل لك حاجة ؟ الرجل: لا... ولكني أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

عبد الرحمن: بكل سرور سل ما شئت.

الرجل: هل جائكم إلا ما جاءنا ؟ وهل علمتم إلا ما قد علمنا ؟

عبد الرحمن: ما جاءنا يا أخي إلا ما جاءكم وما علمنا إلا ما علمتم.

الرجل: لكننا نزهد في الدنيا وترغبون فيها وتؤثرونها، وأنتم قدوتنا وسلفنا الصالح الذي يقتدى به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبد الرحمن: صدقت يا أخي فلقد ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر يا

لك من صحابي متواضع يا أبن عوف، صحابي في مقامه الرفيع وقمة عطائه في الإنفاق في سبيل الله ومع ذلك يعترف بالتقصير في حق الله.

وأنه لم يؤد حق الله فيما ائتمنه عليه، لكننا نقول لك يا ابن عوف إنك والله أديت حق الله فيما ائتمنك عليه وسارعت بكل عمل يقربك من الله، ويكفيك فخراً أن الله تبارك وتعالى بعث إليك السلام من فوق علياء عرشه عبر الأمين جبريل عليه السلام.

ففي يوم من الأيام كان عبد الرحمن جالساً مع نفر من أصحابه بينهم رجل يدعى (إياس الهزلي) إذ جئ لهم بإناء فيه خبز ولحم، فلما رآه أبو محمد بكى فقال إياس الهزلي: كفى بكاءً يا أبا محمد ما يبكيك ؟

فرد عليه عبد الرحمن بن عوف وقال: عندما وضع الطعام أمامي فيه كل هذا الخبز تذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات عليه الصلاة والسلام وما شبع هو وأهله من خبز الشعير.

هذا الموقف إن دل إنما يدل على عظم مراقبته لله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، أما في عرفنا نحن فهو مجرد شيء عادي، أما عند إنسان أواب عابد لله مثل عبد الرحمن فإنه يعني شيئاً كثيراً، فعندما يأكل طعام من غير ما كان يأكل عليه الصلاة والسلام فهذا من وجهة نظره تبديل وتغيير، لذا بكى – رضي الله عنه – أمام أصحابه خوفاً من أن يُسأل عن هذه النعيم.

لك الله يا ابن عوف فأنت رجل مبشر بالجنة تفعل وتقوم بهذه الأفعال فما بالنا نحن في عصرنا هذا نرتكب المعاصي ليل نهار.

ولقد سار عبد الرحمن بن عوف في معية ذي النورين يساعده في أمور الرعية وتسيير دفة الحكم، فقد كان يجتهد برأيه وبمشورته في معظم الصعوبات التي كانت تواجهه فقد روى ابن سعد عن نافع أن عبد الرحمن رأى السكين التي قتل بها عمر رضى الله عنه فقال: لقد رأيت هذه السكين أمس مع الهرمزان وجفينة، فلما شعرا بي سقطت منهما، فقلت ما تصنعان بهذه السكين ؟ فقالا نقطع بها اللحم، فقال له عبيد الله بن عمر بن الخطاب: أنت رأيتها معهما ؟ قال: نعم. فأخذ سيفه ثم أتاهما فقتلهما، فلما تولى عثمان دعا عبيد الله فجاءه متقلداً سيفه، وعبد الرحمن

عند عثمان بن عفان، فعزم عليه عبد الرحمن أن يضع سيفه فوضعه، ثم إن عثمان قال له ما حملك على قتل هذين الرجلين وهما في ذمتنا ؟ فقام إليه عبيد الله وصرعه، فقام عبد الرحمن وحجزه ثم شاور عثمان الناس في أمر عبيد الله ورأى العفو عنه درءاً للفتنة[1]

و لم يبخل ابن عوف بأي شيء لديه تجاه المسلمون حتى دهمه المرض رضي الله عنه فهو الآن طريح الفراش يعاني آلام المرض، ولقد أوصى – عليه رضوان الله – بإنفاق الكثير من ماله في سبيل الله، وحدد وصيته لكل من أصحاب الرسول الكريم ممن بقى من أهل بدر، ولأمهات المؤمنين وكذلك للفقراء واليتامى والمساكين، وهذه محاورة بينه وبين إحدى زوجاته وهو في النزع الأخير من حياته:

عبد الرحمن: إنني أحس بالنهاية

زوجته: شفاك الله يا أبا محمد

عبد الرحمن: وصيتي لك ولأهلي من بعدي أن تخرجوا من مالي جزءاً كبيراً وليكن خمسين ألف دينار لليتامى والفقراء والمساكين، وأعطوا كل من أمهات المؤمنين مبلغاً كبيراً حتى يرضين، وأعطوا كل صحابي ممن شهدوا بدراً أربعمائة دينار.

زوجته: جزاك الله خيراً يا أبا محمد، فأنت والله دائماً جواد سخي تنفق مالك كله في سبل الله، فقد جهزت العديد من جيوش الإسلام، فقدّمت في يوم واحد خمسمائة فرس في سبيل الله، وقدّمت في يوم آخر ألف وخمسمائة راحلة لتجهيز جيوش المسلمين، وإن الناس في المدينة ليقولون: إن أهل المدينة جميعاً شركاء لك في مالك، فأنت تقرض الثلث وتقضي ديون الثلث أما الثلث الأخير فتصلهم وتعطيهم.

عبد الرحمن: لا تقولي هذا الكلام، فالمال مال الله وما نحن إلا سبب، ووصيتي لك أن أدفن بجوار أخي وصاحبي عثمان بن مظعون فإني على وعد معه، فقد تواعدنا على أن ندفن سوياً.

زوجته: لكن أم المؤمنين عائشة تخيرك في دفنك بجوار الرسول صلى الله عليه وسلموصاحبيه أبي بكر وعمر.

---

١ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٥٠

عبد الرحمن: لا والله ما كان لابن عوف أن يرفع نفسه إلى تلك الدرجة العالية، أنفذي ما أمرتك به فإن أخي عثمان في اشتياق شديد إليّ، اللهم لا تؤاخذني في تقصيري تجاه نفسي وتجاه ديني ومالي – أغفر لي ذنبي، وتجاوز عن سيئاتي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إنك نعم المولى ونعم النصير.

وفي هذا المرض أغمى عليه فصاحت امرأته فلما أفاق قال: أتاني رجلان فقالا انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فلقيهما رجل فقال: لا تنطلقا به فإنه سبقت له السعادة في بطن أمه [1].

وما هي إلا دقائق معدودة ورأينا الشيخ الكبير المسن ذا اللحية البيضاء الذي يبلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً، المضئ الوجه الذي ترتسم على وجهه ابتسامة عريضة ملؤها السعادة والانشراح بالمصير والنعيم القادم الذي ينتظره تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وتم دفنه – رضي الله عنه – بعد الصلاة عليه من قبل أمير المؤمنين عثمان بالبقيع مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلموذلك حتى تلتقي روحه الذكرية مع روح هؤلاء الأشراف لتعتلي منزلتها العالية وتأخذ مكانها بجانب الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – في جنات الفردوس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبعد موته – رضي الله عنه – تم تنفيذ وصيته وبالفعل أنفق أهله خمسين ألف دينار على الفقراء واليتامى والمساكين، وكذلك تم إنفاق مبلغ كبير على أمهات المؤمنين، هذه الأموال الضخمة نجد أن معظمها أنفق في سبيل الله سواء في محياه أو مماته رضي الله عنه.

وتعالوا بنا نستطلع قمة زهده وتقواه في هذين المشهدين بالغي التأثير في النفس ليضرب للجميع المثل والقدوة في البعد عن الإمارة وعدم الاستباق إليها كما يحدث في كل العصور.

فعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان بن عفان اشتكى رعافا [2] فدعى حمران فقال: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي فكتب له، فانطلق حمران إلى عبد الرحمن بن عوف فقال: لي البشرى، قال لك البشرى، ما ذاك ؟ قال: إن عثمان – رضي الله عنه – قد كتب لك العهد من بعده فقام –

---

١ مواقف في حياة العشرة المبشرين بالجنة ص ٣٨١

٢ نزيف الدم من الأنف

رضوان الله عليه – بين يدي القبر والمنبر فدعا وقال: اللهم إن كان من توليه عثمان إياي هذا فأمتني قبل عثمان، فلم يمكث – رضي الله عنه – غلا ستة أشهر حتى قبضه الله تعالى[1].

وإذا نظرنا إلى قمة الزهد الذي فيه – رضي الله عنه – وذلك رغم كثرة ماله وقمة عطائه وكونه أكثر أغنياء المدينة، ومع ذلك كان يلبس الخشن من الثياب ولا يتنعم بما أفاء الله عليه من خيراته، فهو يترك الحياة الدنيا من أجل الله حتى يعطيه أجره كاملاً في الآخرة، وإنه بمشيئة الله آخذ أجره كاملاً غير منقوص كما بشر بذلك – رضي الله عنه، ففي يوم من الأيام شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمخشونة ثيابه في أنه يجلب له القمل وقال له يا رسول الله هل تأذن لي أن ألبس قميصاً من حرير ؟ فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن تصريح الرسول لعبد الرحمن بلبس الحرير ليس معناه أن الحرير حلال لرجال الأمة، ولكنه محرم على رجال الأمة، والدليل، على ذلك موقف جلل يقوم بتنفيذه وإخراجه فاروق الأمة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، فلقد دخل عبد الرحمن بن عوف هو وأبنه محمد في يوم من الأيام على أمير المؤمنين عمر، وكان أبنه يرتدي قميصاً من حرير فلما رآه عمر غضب غضباً شديداً، وقام بشق القميص إلى أسفله، فقال عبد الرحمن: غفر الله لك فقد أفزعت الصبي وأطرت قلبه قال أمير المؤمنين: تكسوهم بالحرير ؟! قال عبد الرحمن: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلمأحله لي، قال عمر: أحله لك لأنك شكوت إليه القمل و لم يحله لغيرك.

يا الله.. على القوة في الحق والعدل الذي كان يسيطر على أمير المؤمنين عمر، وخليق برجل كهذا أن تسود دولته العالم، ولقد سادت وظهرت على جميع الديانات السابقة وذلك بفضل قوة وتقوى وورع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وهناك مشهد آخر يدل على تقواه وصلاحه ليضرب لنا أروع الأمثلة للإقتداء به – رضي الله عنه، فقد كان بينه وبين الصحابي الجليل طلحة جفوة وتباعد فمرض طلحة، فجاء عبد الرحمن يعوده فقيل له: عبد الرحمن بن عوف بالباب قال: أو قد جاء على ما بيننا فلما دخل قال له طلحة: أنت والله خير مني فقال له عبد الرحمن: لا تفعل يا أخي فقال: بلا والله أنت خير مني

---

١ القاموس المحيط ٣/٢١٢

لأنك لو كنت أنت المريض ما عدتك[1].

وعن أم بكر بنت المسور عن أبيها – وكان ابن أخت عبد الرحمن قال: لما ولى عبد الرحمن الشورى كان أحب الناس إلى أن يليه، فان تركه فسعد بن أبي وقاص، فلحقني عمرو بن العاص فقال: ما ظن خالك بالله إن ولى هذا الأمر أحداً وهو يعلم أنه خير منه، قال: فقال لي ما أحب، فأتيت عبد الرحمن فذكرت ذلك له، فقال: من قال ذلك لك ؟ فقال: لا أخبرك، فقال: إن لم تخبرني لا أكلمك أبداً، فقلت: عمرو بن العاص، فقال: عبد الرحمن: والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إليّ من ذلك[2].

وعن سعد بن أبي وقاص أنه أرسل إلى عبد الرحمن بن عوف أن ارفع رأسك، وانظر في أمر الناس – يعني تولى الخلافة – فقال له عبد الرحمن: أنه لن يلي هذا الأمر أحد بعد عمر إلا لامه الناس[3].

وقد أثنى الناس على عبد الرحمن بن عوف عند موته وقبل ذلك، ومما روي في ذلك عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال: رأيت سعد بن أبي وقاص يحمل نعش عبد الرحمن بن عوف عند قائمتي السرير وهو يقول واجبلاه، واجبلاه[4].

وعنه أنه سمع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يقول: يوم مات عبد الرحمن بن عوف " أذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها – كدرها[5].

وروى أن عمرو بن العاص قال يوم وفاة عبد الرحمن: أذهب عنك ابن عوف، لقد ذهبت ببطنك ما تغضغض منها من شيء.

ومعنى قول عمر بن العاص أنك يا ابن عوف ذهبت بأجرك كاملاً لم ينقص منه شيء لأنه لم

---

١ مختصر تاريخ مدينة دمشق ١٤/٣٦٠

٢ مختصر تاريخ بن عساكر ١٤/ ٣٥٨

٣ مختصر تاريخ بن عساكر ١٤/ ٣٥٩

٤ الطبقات الكبرى ٣/١٣٥- مختصر تاريخ بن عساكر ١٤/٣٦٢ تاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٠

٥ المراجع السابقة

يلتبث بولاية أو عمل.

وروى أن عوف بن مالك رأى في المنام قبة من آدم ومرجان أخضر وحول القبة غنم ربوض تجتر، وتبتعر العجوة، قال: قلت: لمن هذه القبة ؟ قيل لعبد الرحمن بن عوف: قال: انتظرنا حتى خرج قال: فقال يا عوف هذا الذي أعطاني الله بالقرآن[1].

أما من ناحية فضله ما رواه سعيد بن زيد – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: وإني لغني أن أقول عليه ما لم يقل، فيسألني عنه غداً إذا لقيته: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، والزبير بن العوم في الجنة، وطلحة بين عبيد الله في الجنة، وسكت عن العاشر، قالوا ومن هو العاشر ؟ فقال سعيد بن زيد ثم قال: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلميغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم، ولو عمر عمر نوح[2].

وعن ثناء الرسول صلى الله عليه وسلمما حدثت به بسره بنت صفوان قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أمشط عائشة فقال: يا بسرة من يخطب أم كلثوم ؟ قلت يخطبها فلان وفلان وعبد الرحمن بن عوف، فقال: " أين أنتم من عبد الرحمن ؟ فإنه من سادة المسلمين وخيارهم أمثاله "[3].

---

١ الحلية . لأبي نعيم ١ / ٢١٠

٢٢ أخرجه أبو داؤود برقم (٤٦٤٨) والترمذي برقم (٣٧٤٩)

٣ مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٥٥/١٤

الفصل الثامن

إنفاقه في سبيل الله

كان عبد الرحمن رضي الله عنه واسع الثراء ورزقه الله من حيث لا يحتسب، فكلما أخرج شيئاً لله أعطاه الله أضعافاً مضاعفة فالله سبحانه وتعالى يقول وقوله الحق: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) [١]

وكان – رضي الله عنه – تقياً ورعاً صدوقاً في كل تعاملاته فهو التاجر الأمين، لذا نجد ربنا جل شأنه رزقه رزقاً وافراً حتى أنه كان من أغنى أغنياء المدينة وهذا جزاء التقوى مصداقاً لقول ربنا: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [٢].

وكان رضي الله عنه يضيف الضيف ويعطى السائل ويطعم الفقراء والمساكين ويصل أهل المدينة جميعاً حتى أن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: " كان أهل المدينة جميعاً عيالاً لعبد الرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم من ماله وثلث يقضى دينهم بماله وثلث يصلهم ويرحمهم " [٣].

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مرض عبد الرحمن ابن عوف فأوصى بثلث ماله، فصح فتصدق بذلك بنفسه ثم قال: يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلمكل من كان من أهل بدر له عليّ أربعمائة دينار فقام عثمان، وذهب مع الناس فقيل له: يا ابا عمر ألست غنياً قال: هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة، وهو مال حلال، فتصدق عليهم عبد الرحمن في ذلك اليوم بمائة وخمسين ألف دينار، فلما جن عليه الليل جلس في بيته وكتب جريدة بتفريق جميع المال على المهاجرين والأنصار، حتى كتب أن قميصه الذي عليه لفلان وعمامته لفلان، ولم يترك شيئاً من ماله إلا وكتبه للفقراء، فلما صلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط جبريل عليه السلام وقال: إن الله يقول لك أقرئ عبد الرحمن مني السلام، وأقبل منه الجريدة ثم ردها عليه، وقل له قد قبل الله صدقتك، وهو وكيل الله ووكيل رسوله يصنع في ماله ما شاء وليتصرف فيه

---

١ سورة البقرة الآية (٢٤٥)

٢ سورة الطلاق (جزء من الآية ٣)

٣ مختصر تاريخ بن عساكر ١٤/ ٣٥٩ – سير أعلام النبلاء ١ م ٩٢

كما كان يتصرف قبل، ولا حساب عليه بشره[1].

لقد قيل أن قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)[2] .

قد نزلت في عبد الرحمن بن عوف، ولقد تحققت فيه رضي الله عنه هذه الآية الكريمة طوال حياته وكذلك بعد مماته، فهو صاحب إنفاق كبير سواء كان ذلك سراً أو علانية، ولقد تصدق عبد الرحمن – رضي الله عنه – كما روى الزهري بشطر ماله (أربعة آلاف) ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ولقد جهز أيضاً حوالي خمسمائة فرس وألفاً وخمسمائة راحلة في سبيل الله وذلك لتجهيز جيوش المسلمين في مواجهة أعداء الله[3].

إن مفهوم الإنفاق في سبيل الله كان له مفهوم أخر عند ابن عوف فهو ينفق من أجل الله ليس من أجل زيادة ماله، لكنه – رضي الله عنه – كان ينفق من أجل أن يطلق الله قدميه عند دخوله الجنة، فقد أمره الرسول صلى الله عليه وسلموقال: " يا ابن عوف أنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا فأقرض الله يطلق لك قدميك " [4].

لهذا فهو دائماً ذو سعة في الإنفاق يتبرع بمعظم ماله سواء في حياة الرسول الأعظم، اوحياة خليفتيه الصديق والفاروق حتى بلغ إنفاقه حده الأقصى في عهد عثمان – رضي الله عنه، وحتى قبض روحه – رضي الله عنه. لهذا كله بارك الله في رزقه، فصار ابن عوف من أغنى أغنياء المدينة، فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً سواء في الدنيا أو الآخرة.

فها هي قافلة له تقترب من أبواب المدينة وتدخلها وتخترقها في سبعمائة راحلة قادمة من الشام تحمل تجارة له محملة بالخيرات والأطعمة من شتى الأنواع، ومن كثرة القافلة وعظم مسيرها وما تحدثه من بريق في الأعين خرج معظم مسلمي المدينة من بيوتهم لمشاهدة هذه القافلة الضخمة،

---

١ الرياض النضرة في مناقب العشرة ج ٢

٢ سورة البقرة (الآية ٢٦٢)

٣ أبو نعيم في الحلية ١ / ٩٩ – سير أعلام النبلاء ١ / ٨١

٤ مختصر تاريخ بن عساكر ١٤/٣٥١ – سير أعلام النبلاء ١/٨١- وأخرجه الحاكم ٣/ ٣١١.

ولقد أحدثت هذه القافلة أحاديث كثيرة بين الناس مما جعل أم المؤمنين عائشة تسأل عن هذه القافلة، ولمن هي ؟ فقيل لها إنها لعبد الرحمن بن عوف فقالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن عبد الرحمن بن عوف سيدخل الجنة زحفاً "، وسمع أحد الصحابة هذه المقالة ونقلها إلى عبد الرحمن، وقبل أن تفك مغاليق القافلة أحمالها ذهب عبدالرحمن إلى أم المؤمنين رضي الله عنها ودار بينهما حوار من وراء حجاب:

عبد الرحمن: السلام عليكم أم المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

السيدة عائشة: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته – بارك الله لك في تجارتك يا ابن عوف، لقد سمعت أن لك سبعمائة راحلة تشق شوارع المدينة.

عبد الرحمن: من أجل ذلك جئت يا أم المؤمنين، فإني أشهد الله ثم أشهدك بأن حمولة السبعمائة راحلة بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله، وذلك طمعاً في الله سبحانه أن يطلق قدمي عند دخولي الجنة كما بشرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السيدة عائشة: حقاً يا عبد الرحمن لقد سمعتها من الرسول الكريم فابشر، فإنك ستنال الدرجات العلى، وستدخل الجنة على قدميك كما بشرك الرسول بذلك.

عبد الرحمن: استأذنك في الخروج.. هل تأمرين بشيء ؟

السيدة عائشة: توكل على الله وقم بتوزيع حمولة هذه القافلة على المؤمنين والمؤمنات خاصة الفقراء واليتامى والمساكين وأرامل المسلمين.

عبد الرحمن: سمعاً وطاعة أم المؤمنين.

خرج المنافق السخي من عند السيدة عائشة – رضي الله عنها، ونادى في أهل المدينة جميعاً وقال: أيها المؤمنون والمؤمنات أشهدكم بأن ما في هذه القافلة كلها من خيرات وأحال في سبيل الله، فخذوا منها ما تشاءون فإني قد وهبتها لكم خالصة ابتغاء وجه الله الكريم، وفي احتفال كبير شهده أهالي المسلمين، وكان الناس في سعادة غامرة من فيض هذا الربح والخير العميم الذي نزل عليهم من الله سبحانه وتعالى، مما جعل الناس يدعون لعبد الرحمن في الظاهر والباطن، ولسان حالهم يقول: جزاك الله خيراً يا عبد الرحمن.

نعم جزى الله ابن عوف أحسن الجزاء فهو صاحب العطاء الكبير الذي لا يدانيه عطاء فهو يتاجر مع الله وتجارة الله لن تبور أبداً، فالتجارة في عرف ابن عوف عطاءً وليست نهباً وسرقة كما يحدث في عصرنا الحديث.

وفي يوم من الأيام باع عبد الرحمن – رضي الله عنه – أرضاً له وهي سهمه من بني النضير بأربعين ألف دينار، وقد قسمها على الفقراء من بني زهرة وعلى ذوي الحاجة من الناس الذين لا يوجد عندهم أدنى شيء للمعيشة، فقد كان – رضي الله عنه – عونا للفقير واليتيم والمسكين، وكان يعتبر هؤلاء الأصناف عيالاً له، ولم ينس الصادق البار أمهات المؤمنين فبعث لأمهات المؤمنين كل واحدة نصيبها، فقالت أم المؤمنين عائشة من أرسل هذا ؟ فقيل لها عبد الرحمن بن عوف فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلمقال: لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون ثم دعت له فقالت: سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة "[1].

اللهم آمين.. اللهم اسق ابن عوف من سلسبيل الجنة شربة هنيئة لا يظمأ بعدها أبدها فهو أهل لهذه المنزلة.

وعن أبي سلمة رضي الله عنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين يبعث بأربعمائة ألف [2] أي أن التي أوصى بها بن عوف يبعث ريعها وخيراتها بحوالي أربعمائة ألف.

وذات يوم دخل بن عوف – رضي الله عنه – على أم سلمة – رضي الله عنها – فقال: يا أم المؤمنين إني أخشى أن أكون قد هلكت، إني من أكثر قريش مالاً، وقد بعت أرضاً لي بأربعين ألف دينار فقالت: يا بني أنفق، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: " إن من أصحابي من لن يراني بعد أن أفارقه " فأتى عبد الرحمن عمر – رضي الله عنهما – فأخبره بذلك فأتاها فقال لها: بالله أنا منهم ؟ قالت: اللهم لا، ولن أبرئ أحداً بعدك[3].

---

١ مختصر تاريخ عساكر ٣٥٧/١٤ – اخرجه الحاكم ٣١٠/٣ – الإمام أحمد ١٠٤/٦ .

٢ مختصر تاريخ بن عساكر ٣٥٦/١٤ – أخرجه الحاكم ٣١١/٣ – أخرجه الترمذي بسند حسن برقم (٣٧٥٠)

٣ أخرجه الإمام أحمد ٢٩٨/٦، ٣١٢، ٣١٧

وقد أوصى عبد الرحمن بن عوف عند موته بأموال كثيرة وترك لورثته تركة ومال كثير. فقد روى المؤرخون أن عبد الرحمن بن عوف أوصى لكل رجل ممن بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار وكان عددهم يقدر (بمائة صاحبي) فأخذها حتى على رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه [١].

وأوصى بخمسين ألف دينار[٢]. وألف فرس في سبيل الله[٣].

أما تركته فقد قال ابن عبد البر: خلف ابن عوف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس[٤].

وكان مما ترك ذهباً قسم بين ورثته بالفؤوس حتى خشنت أيدي الرجال من كثرته [٥].

وقال مجاهد وابن سيرين: أقتسم نساء ابن عوف ثمنهم فكان ثلاثمائة وعشرين ألفاً فأصاب كل واحدة منهن ثمانين ألفاً [٦] أي أن زوجاته كل واحدة منهن كان نصيبها ثمانين ألف دينار، وعن أنس رضي الله عنه أن نصيب كل امرأة من نسائه بعد موته كان مائة ألف[٧].

ولبيان كثرة ماله أنه – رضي الله عنه – يملك الكثير والكثير وأن هذا المال سيحجبه بعض الشيء.

وعن النبي صلى الله عليه وسلمنسرد هذين الحديثين:

الحديث الأول: يحكيه عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلميوماً

---

١ البداية والنهاية ٥ / ٢٤٨ – سير أعلام النبلاء ١/ ٩٠

٢ الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٠/٣ مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٦/١٤ سير أعلام النبلاء ١ / ٨٦.

٣ سير أعلام النبلاء ٩٠/١

٤ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٤٠/٢ – مختصر تاريخ بن عساكر ٣٦١/١٤

٥ سير أعلام النبلاء ٩٠/١

٦ سير أعلام النبلاء ١ / ٩١ – مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤/ ٣٦٢ – البداية والنهاية ٥ / ٢٤٨ .

٧ مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٦٢/١٤ – البداية والنهارية ٢٤٨/٥

على أصحابه فقال: يا أصحاب محمد لقد أراني الله تعالى الليلة منازلكم في الجنة وقدر منازلكم من منزلي ثم أقبل على عليّ – رضي الله عنه – فقال: يا عليّ، ألا ترضى أن يكون منزلك مقابل منزلي في الجنة ؟ قال بلى بأبي وأمي يا رسول الله، قال: فإن منزلك في الجنة مقابل منزلي، ثم أقبل على أبي بكر فقال: إني لا أعرف رجلاً باسمه واسم أبيه وأمه إذا أتى باب الجنة لم يبق باب من أبوابها، ولا غرفة من غرفها إلا قال له مرحباً مرحباً، فقال له سلمان: إن ذا لغير خائب يا رسول الله، فقال: هو أبو بكر ابن أبي قحافة ثم أقبل على عمر فقال: يا عمر لقد رأيت في الجنة قصراً من درة بيضاء، شرفه من لؤلؤ أبيض، مشيد بالياقوت، فأعجبني حسنه فقلت: يا رضوان لمن هذا القصر ؟ فقال: لفتى من قريش فظننته لي، فذهبت لأدخله فقال لي رضوان: يا محمد، هذا لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال فبكى عمر ثم قال: أعليك أغار يا رسول الله ؟ ثم أقبل على عثمان فقال: يا عثمان، إن لكل نبي رفيقاً في الجنة، وأنت رفيقي في الجنة، ثم أقبل على طلحة والزبير فقال: يا طلحة ويا زبير إن لكل نبي حواري، وأنتما حواريّ، ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال: يا عبد الرحمن بن عوف، لقد بطئ بك عني حتى حسبت أن تكون قد هلكت، ثم جئت وقد عرقت عرقاً شديداً فقلت: ما بطأ بك عني ؟ لقد حسبت أن تكون هلكت، فقلت يا رسول الله كثرة مالي، ومازلت موقوفاً محتبساً أسأل عن مالي، من أين اكتسبته وفيما أنفقته ؟ قال: فبكى عبد الرحمن، وقال يا رسول الله هذه مائة راحلة جاءتني الليلة من تجارة مصر، وأشهدك أنها بين أرامل أهل المدينة وأيتامهم، لعل الله يخفف عني ذلك اليوم[1].

أما الحديث الثاني: فهو خروج النبي صلى الله عليه وسلمذات ضحى على أصحابه وهم جلوس في المسجد فقال: أريت أني دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت: من هذا يا جبريل ؟ فقال: بلال المؤذن، فنظرت فإذا أعالي أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين، وإذا فيها ليس أقل من الأغنياء والنساء فقلت مالي لا أرى فيها أحداً أقل من الأغنياء والنساء فقال لي: أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون ويمحصون وأما النساء فألهاهن الأحمران الذهب والحرير، فخرجنا من أحد الثمانية أبواب فإذا أنا بالميزان فوضعت في كفه وأمتي في كفة فرجحت بها ثم جئ بأبي بكر فوضع في كفة وأمتي في كفة فرجح بها ثم جئ بعمر فوضع في كفة وأمتي في كفة

---

١ مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤/ ٣٥٣- مجمع الزوائد منبع الفوائد ٣٢/٧ .

فرجح بها ثم جعلوا يعرضون على أمتي رجلاً رجلاً فاستبطأت عبد الرحمن بن عوف فلـــم أره إلا بعد أياسة فلما رآني بكى، قلت: عبد الرحمن ابن عوف ما يبكيك ؟ قال: والذي بعثك بالحق ما رأيتك حتى ظننت أني لا أراك أبداً إلا بعد المشيبات قلت: وما ذاك ؟ قال: من كثرة مالي مازلت أحسبه بعدك وأمحص[1].

أتنظرون مقالة الصادق البار يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: مازلت أحاسب لكثرة مالي وهو صاحب الإنفاق الكبير والعطاء الكبير والعطاء الذي ليس له حدود. فماذا عســى أغنيــاء السلف والتابعين أن يفعلوا ؟ وماذا عسى أغنياء هذا الزمن أن يفعلوا ؟ فهذا صحابي جليل مثــل عبد الرحمن مبشر بالجنة من قبل الرسول الكريم ومع ذلك لم يفلت من حساب مــولاه ويتــأخر كثيراً عن رؤية حبيبه ورسوله الأعظم فماذا الأغنياء فاعلون في هذا الزمان ؟

أنه لشيء عظيم يجب أن يعيه الأغنياء جيداً، ماله الذي اكتسبه سيسأل عنه من أين اكتسبه ؟ ومن حل أم من حرام وكذلك سيسأل فيما تم إنفاقه. وفي هذه تذكرة لمن كان له قلب أو ألقــى السمع وهو شهيد.

وعندما سمع الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف هذا الكلام من الرسول صــلى الله عليــه وسلمملأ الخوف قلبه وأصبح ينفق جُل ماله في سبيله سبحانه حتى يكون حسابه يسيراً وبالفعــل سيكون حسابه يسيراً ولطيفاً.

ومن هنا سار الإنفاق عند عبد الرحمن غاية يحي من أجلها ويقوم على بلوغهــا إلى أقصــى درجة وهذا طمعاً في رضا الله وطمعاً في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين المنفقين في السراء والضراء.

اللهم ربنا رب السماوات السبع هب ابن عوف حساباً ميسوراً سهلاً لكي ينقلب إلى أهلــه مسروراً لينعم برؤية المصطفى صلى الله عليه وسلمولا تؤخره يارب للحساب فأنــت ســبحانك أعلم بعبادك وأنت سبحانك علام الغيوب. فلا تحاسب الصادق البار أمين أهل الســماء والأرض وأدخله جنات الفردوس مع المصطفى صلى الله عليه وسلمدون محاسبة حتى يلتقي بأحبائه وإخوانه

---

١ مواقف في حياة العشرة المبشرون بالجنة

الذين سعوا مجاهدين من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول اله. لكي تنتشر عبر أرجاء العالم وتدك أوكار الشرك والمشركين في كل زمان ومكان. تحية لك إلى يوم أن نلقاك في الحشر الأعظم وعسى ربنا أن يتوب علينا ونكون في زمرة الصالحين – اللهم آمين.

ونتساءل الآن... أيوجد لهذا الصحابي وجود في عالمنا المعاصر ؟ إن وجد أيكون بهذا السمو وهذا الفضل الكبير ؟ لكني أعترف أنه لا يوجد ولن يوجد لمثله شبيها في عالمنا (فنحن الآن في حياتنا الدنيا صريعي الشهوات يوجد لمثله شبيها في عالمنا، فنحن الآن في حياتنا الدنيا صريعي الشهوات والملذات نصارعها وتصارعنا حتى تجتثنا من فوقها وتضعنا في معينها وساعتها يحاسبنا ربنا الغفور ذو الرحمة فإن شاء سبحانه عفا وصفح وإن شاء حاسب وعذب.

لك الله يا صاحب السخاء والكرم، لك الله يا ملياردير الصحابة والكرم، ولك الحق كل الحق في تسمية الرسول لك أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض. تحية إجلال وإشراق دائمين متلازمين على سيرتك العطرة التي ازدانت بكل ما هو مضيء يكون بعدك نهج حياة كاملة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وسوف يكون من المستحيل أن يسير إنسان ما في حياتنا الحديثة على نفس الدرب، لكن المستحيل يمكن أن يتحقق إذا تم تغيير ما في النفس من شوائب فاسدة تفسد الإيمان الحقيقي الذي يسمو بالروح، فإن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فإن أحسنوا النية أصلح الله حالهم وجعل حالهم أحسن حال، والله سبحانه وتعالى يعطي بلا حدود شرط التمسك بكتابه سبحانه وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلمفالله باق حي قيوم في كل زمان وفي كل مكان فإن مات الرسول وراح زمانه، فإن الله سبحانه وتعالى من فوق عليائه سمائه حي قيوم لا يموت أبداً، ينتظر من يدعوه ليجيبه على الفور شرط التمسك بمنهاجه وتعاليمه السامية، وإذا تم اعتماد الإنسان على ربه في هذه الآونة بالذات آونة الفتن والمفاتن التى وصفها لنا الرسول صلى الله عليه وسلمأنها كقطع الليل المظلم، فإن الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان أكثر ما يعطيه في وجود الرسول ولنا فى السلف الصالح والتابعين أسوة حسنة.

تحية لك يابن عوف على ما قدمته للإسلام والمسلمين، وسيظل اسمك يردد ويعرفه الصغير قبل الكبير فقد نقشت اسمك في قلوبنا وعقولنا بهداك وتقواك وورعك... ومما لا شك فيه أنك الآن سعيد بين الأحبة محمد وصحبه.

والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل

والحمد لله رب العالمين

المراجع

- القرآن الكريم.

١. أخبار عمر وعبد الله بن عمر. الشيخ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي المكتب الإسلامي.

٢. الأعلام. خير الدين الزركلي.

٣. البداية والنهاية. الحافظ بن كثير، دار الفكر.

٤. الرياض النضرة في مناقب العشرة. أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب.

٥. السيرة النبوية. لان هشام.

٦. السيرة النبوية. د/ محمد سيد رمضان البوطي.

٧. الطبري.

٨. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد، دار القلم.

٩. القاموس المحيط. الفيروزأبادي، دار إحياء التراث العربي.

١٠. المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري، دار الفكر.

١١. الموطأ. برواية أبي مصعب الزهري. مؤسسة الرسالة.

١٢. تاريخ الإسلام. الحافظ الذهبي، دار الفكر.

١٣. تاريخ الطبري. الإمام الطبري، دار الكتب العلمية.

١٤. حلية الأولياء. أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية.
١٥. حياة الصحابة. محمد يوسف الكاندهلوى، دار الأرقم.
١٦. رجال حول الرسول. خالد محمد خالد.
١٧. سنن ابن ماجة. ترقيم عبد الباقي.
١٨. سنن الترمذي. ترقيم عبد الباقي.
١٩. سير أعلام النبلاء. الحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة.
٢٠. صحيح البخاري ز ترقيم د/ البناء، دار القلم ز
٢١. صحيح مسلم. ترقيم عبد الباقي.
٢٢. عبد الرحمن بن عوف. عبد السلام العشري.
٢٣. عبد الرحمن بن عوف. محمد شريف عدنان الصواف، مكتبة العبيكان – الرياض.
٢٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ابن حجر الهيثمي، دار الكتاب العربي.
٢٥. مختصر تاريخ دمشق. الحافظ بن عساكر، دار الفكر
٢٦. مواقف في حياة العشرة المبشرون بالجنة. عبد العزيز الشناوي.

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣
الفصـــــل الأول: يوم الزينة	٥
الفصل الثانـــــي: أين الحقيقة	٩
الفصل الثـــــالث: ظهور النور	٢١
الفصل الرابـــــع: محاربة الدعوة الإسلامية والتنكيل بالمسلمين	٣١
الفصل الخامس: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وبناء الدولة	٤١
الفصل السادس: عبدالرحمن مستشارا للصديق والفاروق	٥٩
الفصل السابـــــع: وفاة عبد الرحمن في عهد عثمان	٧٥
الفصل الثامـــــن: إنفاقه في سبيل الله	٨٢
المراجع	٩٠